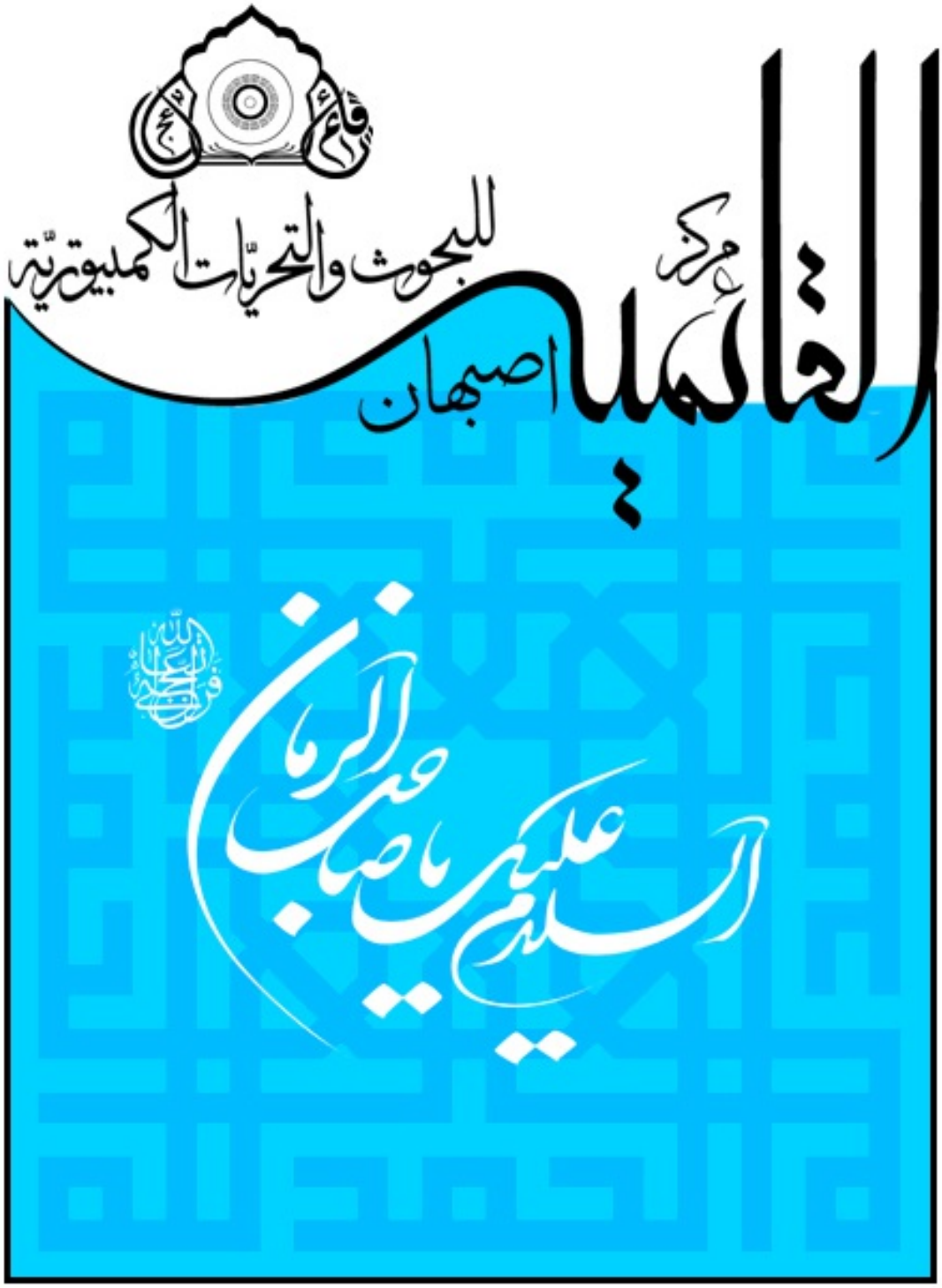

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

مع الدكتور احمد امين
في حديث
المهدي عليه السلام و المهديه

محمد امين زين الدين

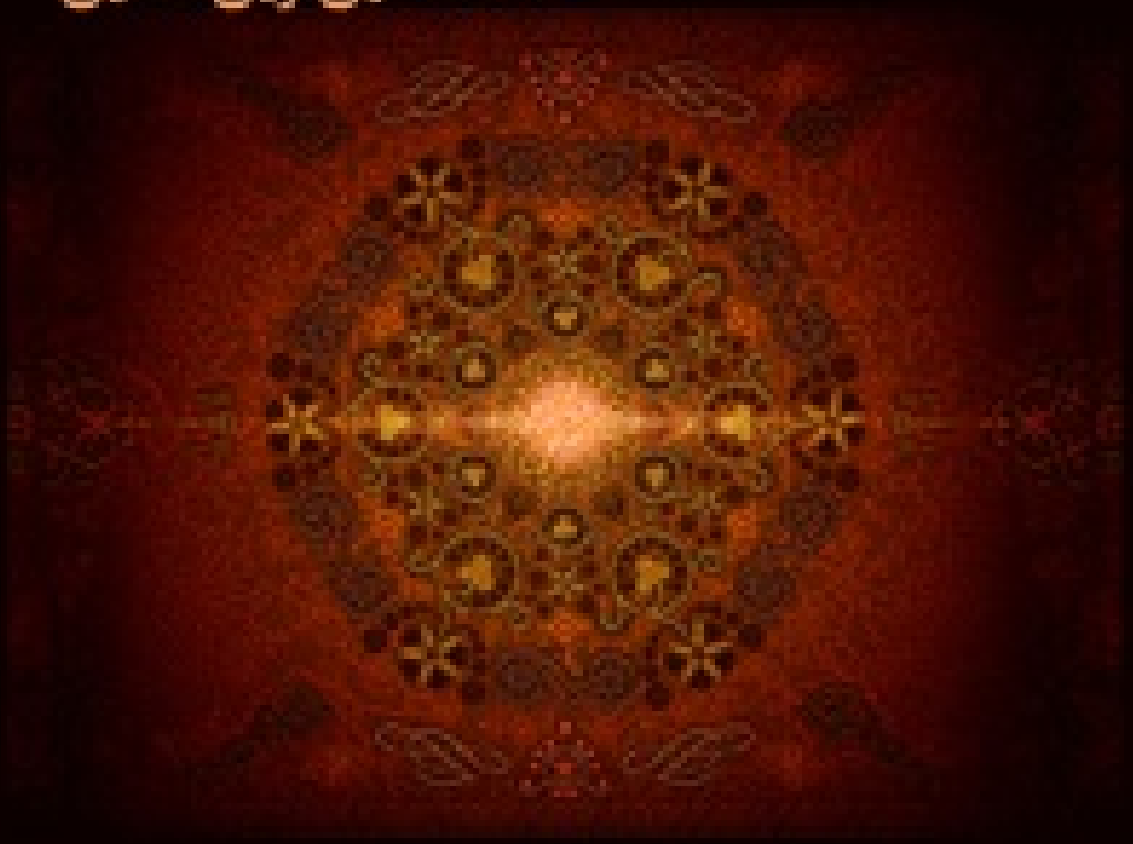

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الدكتور احمد امين فى حديث المهدى و المهدويه....

كاتب:

محمدامين زين‌الدين

نشرت فى الطباعة:

النعمان

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
مع الدکتور احمد امین فی حدیث المهدی و المهدویه.... ----- ۶
اشارة ----- ۶
بین یدی الکتاب ----- ۶
المصلح المنتظر فی أحادیث الأدیان ----- ۷
حدیث الاصلاح ----- ۸
المهدی فی دیوان الخلفاء ----- ۱۱
مع الناقدین ----- ۱۹
علی عصمة الامام و ای امام معصوم ----- ۲۱
یعیش مئات السنین ----- ۲۱
و أصبح لا یجوز علی العقول غمام مختلف ----- ۲۳
یخرج فی زمان قد حدد ----- ۲۴
وهو فی استتاره یحرک أتباعه لیزیلوا المظالم ----- ۲۵
المهدویة فی التاریخ ----- ۲۵
خاتمة المطاف ----- ۲۹
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۳۰

مع الدکتور احمد امین فی حدیث المهدی و المهدویه....

اشارة

عنوان و نام پدیدآور : مع الدکتور احمد امین فی حدیث المهدی و المهدویه..../محمدامین زین‌الدین

مشخصات نشر : بیروت: النعمان، ۱۳XX

مشخصات ظاهری : ۱۵۸ص.

وضعیت فهرست نویسی : در انتظار فهرستنویسی (اطلاعات ثبت)

شماره کتابشناسی ملی : ۲۱۲۰۹۹۴

بین یدی الکتاب

بین یدی الکتاب

صلتی بالدکتور أحمد أمین حرسه الله قدیمة یرجع عهدها إلی طویل من السنین، وأتذکر أن بدایة هذه الصلة یوم قرأت له کتاب الأخلاق، وأکدتها قراءاتی المتتابعة لمؤلفات الدکتور ومقالاته الکثیرة، واشتدت هذه الصلة حین حررت کتاب (الأخلاق عند الإمام الصادق) فقد کانت بیننا أحادیث ممتعة لست أنساها، وإن لم یعلم بها الدکتور لأنه لم یقرأ هذا الکتاب.

والصلة حین تنشأ علی الأخلاق تکون متر کزة علی العقل، ومتصلة بأعماق النفس، وفی هذا ما یضمن لها البقاء، ویحفظها عن تسرب الوهن.

علی أنی ولست أظلم الحقیقة فیما أقول توسمت فی الدکتور صفة منذ الیوم الأول، وأکدت لی الراءات المتتابعة صحة هذا التوسم، وسیؤکدها أیضاً ما أقرأه بعد من منتوجات الأستاذ الجلیل، لأن هذه الصفة ثابتة للدکتور من دون ریب، ویستحیل أن لا تکون.

توسمت فی الدکتور صفة لا یرضاها لنفسه، وماذا علیّ من جحوده لهذه الصفة إذا ارتضاها له عمله، وأکثر الناس ینکرون صفاتهم التی یکرونها، ویتنکرون لمن وصفهم بها أشد التنکر، وللواقع سلطان نافذ الحکم علی المدّعی والمنکِر.

توسمت فی الدکتور یوم رأیته ناقداً إنه لم یخلق للنقد وإنما خُلق للتاریخ، وکأن الطبیعة هیأته لأن یکون مؤرخاً کبیراً یستعرض التاریخ بحروفه وصروفه، ویستقرء الحوادث أسودها وأبیضها، یلقیها دروساً علی تلامیذه فی الجامعة، ویحررها کتباً لقرائه الآخرین، ولکن الطبیعة لم تهیئه لأن یکون ناقداً فی یوم من الأیام.

أقول: إن الطبیعة لم تهیئه للنقد ولا یشبه النقد، لأنی لم أجده موفقاً فی نقوده الکثیرة إلا إذا کان غیره مصدر ذلک النقد، وکان نصیبه منه نصیب المؤرخ من التأریخ.

هذا ما أقوله فی الأستاذ بعد تجارب سنین، وهذا ما أتحدّی القارىء إلی تجربته فی نقود الأستاذ، علی أن ینظر إلیه کاتباً عربیاً له محاسنه وله مساویه، وقد یکون فی القرّاء من علم ذلک قبلی، فلست أرید الإستیثار بالحقائق وإن کانت حلوة، فکیف بالحقائق المرّة.

أضفت هذا التوسم إلی تلک الصلة منذ سنین، فکانت مطالعاتی لکتب الأستاذ ومقالاته تمد لی هذه الصلة بالقوة وتؤکد لی هذا التوسم بالثبات والرسوخ، حتی أصبحت الصلة صداقة، وانقلب التوسم رأیاً.

ولست أظن أن الأستاذ یغضب من رأیی هذا لأنی لست فیه من الظالمین ولیس علیّ من حرج أن أُغضب صدیقاً فی الحق، وإن کان هو الدکتور أحمد أمین وقد أوصانا الدکتور فی کتاب الأخلاق أن لا نداهن فی الحق، وأن لا نغضب علی أحد لأنه یقول الحق.

تعرفت إلی الدکتور قدیماً فی کتابی الأول، فلست أظن أنه ینکرنی إذا التقیت به فی کتابی الأخیر، لأن صلة الأدباء صلة فی العقول، وصلة العقول لا تخضع للزمان ولا للمکان، ولا تقف دونها الحواجز.

وسأجهد أن تكون صلتنا اليوم أشد من صلتنا بالأمس لأن كتابى هذا بجميع فصوله سيحوم حول نظرية من نظريات الدكتور، وسيحاسبه عن فكرة من أفكاره و للقارئ أن يسايرنا إلى الغاية إذا أعجبه هذا اللون من الحديث، وإذا لم تستطع هذه المقدمة أن تغضب الدكتور فأنا ضمين له أن الكتاب لا يستطيع أن يغضبه أيضاً، لأن كل ما فيه دليل على هذه الدعوى وبرهان على هذا الرأى.

ليقرأ الأستاذ كتابى هذا على أنه تفاهم حول فكرة نقدها الناقد طلباً للحق، وأثبتها المُثبت طلباً للحق أيضاً وحاول الكتاب أن يستخلص الحق من بين ذلك الشك وهذا اليقين.

لهذه الغاية وحدها حرّرتُ كتابى والحق يشهد عل ما أقول، والآراء إنما تُؤسس للرد أو للقبول.

(المهدى والمهدوية) عنوان لكتاب جديد حاول الدكتور أن يشرح فيه فكرة المهدى بعض الشرح، وأن يلُمّ بتأريخها كل الإلمام، ولكن قلة المصادر قصرت بالأستاذ عن الغاية، فلم يوضّح فى الشرح، ولم يُنصف فى التأريخ والكاتب فى تفسير العقائد المذهبية إذا اعتمد على التأريخ وحده، أو على ما يكتبه خصوم ذلك المذهب فقد فاته من موضوعه كل شىء، والدكتور يعترف بقلّة المصادر عنده.

ويضاف إلى قلة المصادر قلة تتبع الدكتور لما بين يديه من هذه المصادر، ولو كان شديد التتبع لعلم أن الكتاب الذى بين يديه فى شرح قصيدة العلامة بهاء الدين العاملى غنما هو للشيخ أحمد المنينى الحنفى المتوفى سنة ۱۱۷۲للهجرة، وليس هو لناظم القصيدة كما يقول فى ص ۳۱.

أقول: لو كان متتبعاً لمصادر البحث فى هذا الشرح ما دام يعتقد أن كاتبه أحد علماء الشيعة و لاطلع على الخلاف الشديد بين الشارح والناظم فى كثير من أبيات القصيدة، ولتوقف فى هذه النسبة التى تسرع بها فى كتابه، لم أستغرب لهجة الأستاذ حين يقول عن أئمة الشيعة أنهم يختفون عن الأعين، ويعيشون على الوهم.

لم أستغرب هذا ونظائره من الأستاذ فى كتابه الجديد فقد سمعت لهجته القديمة فى كتبه الأولى ولست أنتظر منه تغييراً فى لهج، أو تعديلاً فى أسلوب، وإذا كان قليل المصادر حين ما كتب فجر الإسلام، وضحى الإسلام، فإنه قليل المصادر أيضاً حين ما يكتب المهدى والمهدوية، فللهجة هى اللهجة، والمعاذير هى المعاذير، وعلى الله الوصول إلى نهاية المطاف.

لم أستغرب جميع هذا من الأستاذ، ولكنى أستغرب جداً أن يحاول بعد هذا كله أن يكون من دعاة الوحدة بين المسلمين...أرأيت أسلس من هذه النتيجة لهذه المقدمات.

أما بعد فإنى سأستعرض فكرة المهدى من نواحيها الخاصة بالشيعة الإثنى عشرية، وإن خَلط الدكتور بين نواحيها الكثيرة، فكوّن من مجموع المُلابسات مزيجاً عجيباً نتبرأ منه كل طائفة على انفرادها، وهذا أول شىء يؤاخذ به سعادة الدكتور.

النجف ۱ ذى الحجة الحرام ۱۳۷۰.

محمد أمين زين الدين

المصلح المنتظر فى أحاديث الأديان

المصلح المنتظر فى أحاديث الأديان

لا يشك أحد أن فكرة الإصلاح المنتظر قديمة بقدم الزمان، وإنها ليست من متفردات دين الإسلام، ولا من مؤسسات نبى الإسلام (ص) لأنا نجد الأديان السماوية التى سبقت الإسلام فى الزمن تبشر بهذه الفكرة، وإن لم تُسمّ المصلح المنتظر مهدياً ولا دعوته الإصلاحية مهدوية.

ولسنا نشترط عليها ذلك بعد أن علمنا أن لكل أمة عرفاً، ولكل لغة مصطلحات ولا تزال هذه الفكرة باقية فيما بقى من فرق هذه الأديان؛ فَفِرق اليهود، وطوائف النصارى لا تختلف فى ذلك.

وقد سَرَت هذه الفكرة إلى غيرهم من الأديان الأخرى كالزرادشتية، والبرهمية، والدكتور يعترف ببعض ذلك فى كتابه [۱] وإن كانت أُمم الشرق أكثر تمسكاً بالفكرة لأن الشرقيين أكثر أملاً، والغربيين أكثر عملاً، كما يقول الدكتور فى مقدمته ولذلك فلا يمكننا التصديق بأن هذه الفكرة وليدة الضغط الشديد الذى واجهته الشيعة من الحكومات القائمة، ولا يسعنا أن نقول أن تأريخ الفكرة متأخرة عن تاريخ الإسلام كما يحاوله الأستاذ.

والنتيجة المنطقية لما تقدم: أن فكرة الإصلاح المنتظر كانت مألوفة قبل مجيء الإسلام، وأن نبى المسلمين إذا صحّت أحاديث المهدى أحد المبشرين بهذه الحركة الإصلاحية الموعودة، وأن كان أشدّهم صلة بها، وأكثرهم حباً لها، من ناحية أخرى، من حيث أنها ثمرة كاملة لغرسه، ونتيجة تامة لمقدماته.

أقول هذا، لأن دين الإسلام قد أحال أن يكون بعده دين جديد.

وإذا تطابقت هذه الأديان على التحدث بهذه الفكرة وإذا كانت مرتقبة عند أُمم الشرق وأُمم الغرب كان الحديث عنها متواتراً يقيناً، وإذا صح للتواتر معنى يستمد عليه العقلاء [۲] وهو يجوز لنا أن نحكم على هذه الأمم جميعاً إنها تواطأت على الكذب، وهذا ما لا يقبله عقل، ولا يحتمله عاقل، ولم يشترط أحد فى الخبر المتواتر أن يكون نبأً عن الماضى [۳] ولتكن هذه الفكرة موافقة لميول الناس العامة أو مخالفة لها، لأن موافقة الميول لا يمكن أن تجعل دليلا ص على كذب فكرة أو صدقها، ولا برهاناً على وضع الأحاديث فيها، ولا يعد هذا من أساليب النقد العلمى، إلا أن تكون للنقد موازين أخرى لا يعرفها العلم. پاورقى

[۱] انظر صحيفة ۶ وصحيفة ۲۰ من المهدى والمهدوية وانظر صحيفة ۵ و ۶ و ۸۱ من الترجمة الفارسية لكتاب (المهدى فى ثلاثة عشر قرناً) تأليف المستشرق الفرنسى الأستاذ (خاورشناس دار مستتر).

[۲] التواتر شيوع فى الخبر، واستفاضة فى نقله، إذا أدت هذه الاستفاضة إلى اليقين بصدق الخبر، وأحال العقل تواطؤ المخبرين على الكذب فيه، والعقلاء يعتقدون أن التواتر من أهم أسباب اليقين بالأشياء، ويدّون الخبر المتواتر من الضروريات التى يصدقها العقل بنظرته الأولى، وإذا نظرنا أهم الوقائع فى التأريخ وجدنا أن العلم بها إنما يحصل لنا من الخبر المتواتر، ولكن من الحق أن نشترط لحصول العلم من الخبر المتواتر شرطاً آخر وراء ما تقدم، وهو أن يكون ذهن السامع خالياً من عقيدة أو شبهة تناقض الخبر؛ ولذلك قد لا يحصل لنا العلن بواقعة من وقائع التأريخ، وإن كانت متواترة بين المؤرخين.

ومن أمثلة ذلك تشكيك الدكتور طه حسين بوجود بعض الشخصيات الأدبية، وإن أصرّ على وجودها المؤرخون والواجب فى مثل هذا أن ينظر الناقد مقدار قيمة تلك الشبهة أو العقيدة من البرهان العلمى.

[۳] يقول العلامة (على نب أبى على بن محمد الأمدى) المتوفى سنة ۶۳۱ هجرية فى الجزء الثانى من كتابه (الأحكام فى أصول الأحكام) ص۴۴ «شرطت الشيعة وابن الراوندى وجود المعصوم فى خبر المتواتر، حتى لا يتفقوا على الكذب وهو باطل...» ومن حق الشيعة أن تسأل العلماء الذين يشهدون للآمدى بالوثاقة ويصفونه بالتثبت عن مصدر هذه النسبة، أى كتب الشيعة يشترط هذا الشرط، وعن أى علمائهم ينقل؛ أنها نسبة كاذبة من دون ريب، والشيعة تشترط وجود المعصوم فى حجية الإجماع، والإجماع غير الخبر المتواتر، ولكن الآمدى رحمه الله (أضاع ثقب الدعاء) كما يقول المثل الفارسى.

حديث الاصلاح

حديث الاصلاح

المنتظر متواتر عند كثير من أهل الشرائع الأولى، وأحاديث المهدى متواترة عن نبى الإسلام على ألسنة طوائف المسلمين، وليس بعد هذا مساغ لنقد أسانيد الروايات كما يحاوله الدكتور؛ ويحاوله العلامة ابن خلدون من قبله، لأن صحة السند لا تشترط فى الأحاديث المتواترة، هذا من الوجهة الفنية، أما مخالفة هذه الأحاديث للعقل، أو لهوى نفسى يسميه الدكتور أحمد أمين عقلاً فهو شىء نبحث

عنه فى الآتى القريب.

أقول: أحاديث المهدى متواترة عند فرق المسلمين، لأن الذين رووا هذه الأحاديث طوائف كثيرة من أئمة المنقول، وحفاظ السنة، ودونها الأكثر منهم، وأفردها كثير منهم بالتأليف، وأشار إلى مضامينها البعض الآخرون.

ويقول العلامة ابن خلدون فى الفصل الذى عقده فى الفاطمى المنتظر من مقدمته «اعلم أن فى المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الإعصار أنه لا بد فى آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت...» وفى هذا القول شهادة صريحة بشهرة الفكرة بين المسلمين على ممر الإعصار وفيه إيماء تواترها، وإن كان هذا الإيماء من طرف خفى على ما يقول المتقدمون.

ولكنه يعرض فى فصله لأحاديث الفكرة فيتناولها بالنقد ولا يسلم عنده من أسانيدها إلا القليل؛ كأن صحة السند تعتبر فى الخبر المتواتر؛ وكأنه أحاط بأخبار الفكرة جميعها، فإذا نقدها فقد خلت الفكرة من الدليل، ولو تتبع قليلاً لعلم أن الفكرة أرفع من هذه المحاولات،وإن أدلتها غنى عن تصحيح الأسانيد، وإلى القارئ قائمة صغيرة بعدد الأحاديث التى دونها الثقاة من رجال المنقول والتى عرضت لى أثناء بحثى القصير.

أربعون حديثاً خرجها الحافظ أبو نعيم فى كتابه (ذكر نعت المهدى) وقد رواها الأربلى فى كتاب كشف الغمة بحذف الأسانيد.

ثمانية وثلاثون حديثاً ذكرها ابن خلدون فى مقدمته لينقد أسانيدها.

سبعون حديثاً خرجها الحافظ محمد بن يوسف الكنجى فى كتاب البيان . مائة وعشرة أحاديث رواها صاحب كتاب كشف المخفى فى مناقب المهدى، وجميع رواة هذه الأحاديث من رجال المذاهب الأربعة ولو أردنا أن نضيف إلى تقدم الأعداد الصغيرة التى يذكرها المحدثون فى مختلف أبواب الحديث لأصبح العدد ضخماً جداً، وأى معنى لتواتر الحديث إذا لم يكن منه هذا العدد الكبير. [۱] .

ومن الحق أن نستثنى من هذا العدد الأحاديث التى كررت بمتونها وأسانيدها، ولست أظن أنها تتجاوز الثلاثين وقد جمع فى كتاب غاية المرام من هذا العدد مائة وخمسة وستين حديثاً، وأورد فى كتاب ينابيع المودة ما يتجاوز المائتين، ولنغمض عما ترويه الشيعة بطرقها الخاصة، فإن لهذه الروايات حساباً خاصاً وهذه الأحاديث وإن لم

تشترك فى لفظ واحد، إلا أنها تعبر عن فكرة واحدة.

أما العلماء الذين شهدوا بتواتر الحديث عن الفكرة فهم كثيرون جداً، وهذا جدول صغير بأسماء بعضهم.

۱ـ افظ محمد بن يوسف الكنجى المتوفى سنة ۶۵۸ فى كتاب البيان.

۲ـ أبو الحسين الآبرى على ما نقله ابن حجر فى الصواعق ص۹۹.

۳ـ السيد مؤمن الشبلنجى فى كتاب نور الأبصار ص۲۳۱.

۴ـ زينى دحلان المتوفى سنة ۱۳۰۴ فى كتاب الفتوحات الإسلامية ص۳۲۲.

۵ـ ونقله هو فى هذه الصحيفة عن السيد محمد بن رسول البرزنجى المتوفى سنة ۱۱۰۳.

۶ـ السيد جمال الدين عطاء الله ابن السيد فضل الله الشيرازى المتوفى سنة ۱۰۰۰ نقله عن أكثر أهل الرواية.

۷ـ أحمد بن محمد بن الصديق فى رسالته إبراز الوهم المكنون.

۸ـ الإمام الشوكانى المتوفى سنة ۱۲۵۰ فى كتاب التوضيح فى تواتر ما جاء فى المنتظر والدجال والمسيح، وقد نقل التواتر عن هذين الأخيرين الدكتور أحمد أمين فى المهدى والمهدوية.

ولو ألقى الدكتور نظرة بسيطة على صحيحى البخارى ومسلم، أو على بعض الكتب الأخرى التى تحدث عنهما لَعَلِمَ أن الإمامين قد خرجا بعض الأحاديث فى المهدى كما خرجها الثقاة الآخرون، ولما شهد لهما بالفخار فى صحيفة ۴۱ لأنهما لم يرويا من هذه الأحاديث شيئاً.

فقد حدّث الحافظ أحمد بن حجر الشافعى [۲] عن مسلم وأبى داود والنسائى وابن ماجة، والبيهقى، وآخرين من علماء الحديث قول النبى وآله (المهدى من عترتى، من ولد فاطمة).

وخرج مسلم فى باب نزول عيسى حاكماً قول النبى وآله «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم» ونقل الكنجى الشافعى فى كتاب البيان مثل هذا عن البخارى أيضاً، وروى مسلم «لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم تعالى صل لنا، فيقولا لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة»، وخرّج مسلم أحاديث الخليفة الذى يحثو المال حثواً فى آخر الزمان.

وإذا كان بعض هذه الأحاديث لا يحمل اسم المهدى فإنه يذكر من صفاته ونعوته ما يرفع اللبس ويزيل التوهم.

والدكتور قد اعتمد فى شهادته هذه على بحث العلامة ابن خلدون للموضوع، لأنه لم يروَ للإمامين حديثاً صريحاً، ونقد أحاديث مسلم فى الخليفة الذى يحثو المال حثواً بأنها لم يقع فيها تصريح بذكر المهدى، ولا دليل يقوم على أنه هو المراد من هذا الخليفة.

ومن الإحصاء المتقدم نعلم مقدار الجهد الذى بذله ابن حجر إحصاء روايات المهدى حين وجدها نحو الخمسين، ونعلم أيضاً أن لفظة المهدى ولفظة المنتظر ليستا من مؤسسات الشيعة، ولا من مخترعات المختار ابن أبى عبيد كما يراه الدكتور وهذا رأى قد لا يوافقه عليه ابن خلدون، ولكن الدكتور يحاول أن يخضع الحقائق لرأيه الخاص ثم يعتذر عما يقول بأنه من المؤرخين وأن الفرق واضح بين باحث يبحث المسائل من حيث تاريخها، وبين داع يخطب فى تأييد مذهب أو نقده على أن التأريخ يأبى له هذا الاستنتاج أيضاً وسنينه فيما بعد.

والناظر فى الصحيفة المتقدمة من كتاب المهدى والمهدوية، يقرأ فيها تهمة جريئة يوجهها الأستاذ إلى حفاظ السنة وأكابر المنقول من رجال الصحاح والجوامع التى لا يختلف فى توثيقها أهل السنة.

ولعل هذا النوع من اتهام كتب الحديث خطوة يخطوها الأستاذ إلى التجدد الذى يذكره فى بعض فصول الكتاب، وإن كان فى خطوته هذه من المحافظين على ما يظهر لأنه يشهد بالفخار للصحيحين.

وقد تسرّبت هذه الطريق الفنية من النقد إلى كثير من كتاب الجيل, وهم يقصدون بهذا تسهيل طريق الإنكار إذا ألجأتهم الضرورة إلى إنكار بعض الحقائق.

وقد رأينا مثل هذه الطريقة للعلامة ابن خلدون فى فصله المتقدم، ولعل هذه الحرية فى ابن خلدون هى التى حببت إلى الدكتور متابعته فى كثير مما كتب حتى فى هذه التفرقة البسيطة بين المؤرخ والداعى الخطيب، والدكتور على ما يظهر شديد الاتصال بروح العلامة بروح العلامة ابن خلدون، وشدة الاتصال هذه تثمر وحدة فى الرأى تسمى موافقة فى الطبقة العالية من الأدباء، وتسمى تقليداً فى الأدباء الآخرين، وكأن كتاب المقدمة هو المصدر الأول للدكتور، حتى فيما ينسبه إلى الشيعة من العقائد.

وخلاصة ما تقدم أن أحاديث المصلح المنتظر متواترة عند أهل الشرائع الأولى وأحاديث المهدى المنتظر متواترة بين فرق المسلمين كافة، ومتواترة عند فرقة الشيعة خاصة.

وبعد هذا كله فإن الشيعة الإثنى عشرية لم تأخذ عقيدتها بوجود المهدى من هذه الأحاديث فقط، وإن كانت متواترة، والتواتر من أهم أسباب اليقين.

ولكن الشيعة الإثنى عشرية تعتقد بوجوده وبضرورة بقائه لأدلة قطيعة أخرى وراء الأحاديث المتواترة، وهذا ما نعرض له فى الفصول اللاحقة. پاورقى

[۱] لاحظنا فى تعداد الأحاديث اختلاف المتن أو السند ولو ببعض الوسائط إذا كان هذا الاختلاف يصحح جعلها روايتين، وقد رأينا الحافظ أبا نعيم يروى بعض الأحاديث بطرق كثيرة تتجاوز الخمسين طريقاً ويروى بعضها بثمانية طرق وبعضها عن جمّ غفير.

[۲] انظر صحيفة ۹۷ من كتاب الصاعق المحرقة.

المهدى فى ديوان الخلفاء

المهدى فى ديوان الخلفاء

يستوقفنى الفكر طويلا حين أريد الدخول إلى بحث الإمامة، وحين أحاول أن أضع بين يدى القارىء مفتاحه الأول، فإن لهذا البحث أكثر من مفتاح واحد.

لماذا اختصت الشيعة بالقول بالإمامة؟ ولماذا أصبحت الإمامة علما على هذه الطائفة دون أخواتها الأخرى من فرق المسلمين؟ وهل يمكن لأحد من العقلاء وإن لم يكن من المسلمين أن يُنكر وجوب نصب الإمام! إذن فبماذا تحفظ الحقوق بين أفراد البشر؟

وبماذا يرد ظلم الظالمين وعدوان العادين ولماذا يهتم العقلاء بنصب الملوك والرؤساء؟.

الإمام سلطان، والسلطان ضرورة من ضرورات الحياة، والإمام وازع يتوقف عليه بقاء الاجتماع، لا بد من وجوده، ولا بد من نصبه إذا لم يكن موجودا، وهذا أمر يستحيل أن يقع الشك فيه من أحد.

وإذن فخلاف سائر المسلمين مع الشيعة إنما يكون فى شؤون هذه الإمامة وفى شرائطها.

ـ من هو الإمام الذى يجب نصبه؟ وماذا يجب أن تجتمع فيه من الشرائط؟.

ـ ومن الذى يتولى نصب هذا الإمام؟

ـ وما الذى يتولاه الإمام من المهمات التى تحتاج إليها الأمة؟.

والناظر فى علم الكلام والعقائد يرى أن هذه الأسئلة محبوكة متداخلة يظهر جواب بعضها من الجواب على البعض الآخر.

تقول الشيعة: الإمامة خلافة النبوة، فيشترط فيها ما يشترط فى النبوة.

عهدت الأمة من مؤسس الدين ملكا لا كالملوك، ورئيسا لا كالرؤساء وعهدت من قرآنه نظاما لا يشبه الأنظمة.

عهدت من نبيها ملكا يخضع الدنيا لسلطة الدين، ويقيس الأعمال بميزان العقيدة ويكوّن من مجموع هذه الأشياء وحدة لا تقبل التجزئة والتفرق، وعهدت من قرآنها نظاماً يهدف إلى الغاية بجميع مواده وفصوله وهو وراء هذا كله نظام معصوم، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

هكذا عهدت الأمة ملكها عند الصباح، فيستحيل أن لا يكون كذلك عند المساء؛ يجب أن تكون الرؤساء من لون واحد، إذا كان القانون مستمرا على لون واحد لأن تغيير منهاج السلطة فى المدة القصيرة يحتاج إلى تغيير كبير فى نظام المملكة, وهذا شىء لا تسوغه الشريعة ولا تسمح به العادة، وقد يؤدى إلى محاذير شديدة، وعاقبة لا تحمد.

فيجب أن تكون للرئيس الثانى كل سلطة أو وظيفة تثبت للرئيس الأول، لأن النظام لم يفرد سلطة الدنيا عن سلطة الدين، وهذا هو الجواب عن السؤال الأخير وإذا أجبنا عن هذا السؤال علينا أن نجيب عن بقية الأسئلة بعد استعراض صغير لمهمات الرئيس الأول. [۱] .

وإذا لم يكن الرئيس الثانى نبيا، فإنه حافظ شريعة وحارس نظام، فيستحيل أن لا يكون علما بدقائق هذه الشريعة، ومحتويات هذا النظام، وكيف يستطيع أحد أن يكون حافظا لما لا يعلم.

ولا يكفى لأداء هذه المهمة أن يعلم أحكام الشريعة بالاجتهاد أو بالتقليد، لأن المجتهد لا تجب إطاعته على المجتهدين الآخرين ولا على مقلديهم، والمقلد أقل منه فى المنزلة، وأخفض منه فى المرتبة، والإمام وأجب الإطاعة على جميع أفراد الأمة من غير استثناء.

ونتيجة هذا إن الرئيس الثانى يجب أن يكون عالما بجميع أحكام الشريعة والقرآن ويجب أن يكون علمه هذا من غير طريق الاجتهاد أو التقليد.

ولست أقول أن هذا العلم الهامى، فإن الدكتور الجليل يستكثر على الله الذى أوحى إلى النحلة ما تفعل وألهم النملة ما تترك وما تعمل، يستكثر الأستاذ عليه أن يلهم بعض المقربين من أوليائه ما يصلح العباد من العلم وما يسددهم من العمل.

نعم إن الأستاذ يستكثر على هؤلاء المقربين، أن يحتفظوا ببعض مخلفات الوحى من علوم المستقبل، لنهم يسمون الكتاب الذى يشتمل على هـذه المخلفات جفرا، وربما استكثر هذه الأنباء على الوحى نفسه، لأنها غيب والنبى وآله يقول «مالى ولهم يسألوننى عما لا أعلم وإنما أنا عبد لا علم لى إلا ما علمنى ربى» أرأيت أجمل من هذه الدعوى،

وأشد مطابقة من هذا الدليل كأن الشيعة تدعى العلم لنبيها ولأئمتها من غير تعليم الله.

أهكذا تنقد الحقائق أيها الأستاذ.

على هذا الحديث يستند الدكتور فى قوله هذا، وإلى الآية التى تقول: (قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله) [۲] ولكنه يتناسى الآية الثانية التى تقول: (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول) [۳] وهذه النغمة قديمة سمعتها الشيعة منذ قرون، وظنت أن المدينة الحديثة ستحدد منها بعض التحديد حين يرى الكتاب الناقدون ملوك الدنيا تعد أبناءها ليوم العرش بالثقافة الصحيحة، وتؤسس لهم المعاهد العالية، وإن البقية من الداء ستنحسم حين يدركون الفرق الفارق بين ملك يقود الأمة لصلاح دنياها، وإمام تطلب الأمة منه صلاح الدنيا والدين.

هذا ما أملته الشيعة حين استهل عصر الحقائق، وهذا ما تؤمله بعد أيضا فهل للأيام أن تحقق لها هذه الأمنية وهل للنقاد المحترمين أن ينظروا إلى الحقائق بغير المنظار الأول الذى خلقته الأحقاد؛ ولم تخلقه الأيام، ليعيش المسلم إلى جنب المسلم أخا بالمعنى الصحيح من الأخوة كما سماهم الله فى كتابه، وكما دعاهم إليه النبى فى سنته.

هذا ما أوجهه إلى جمعية التقريب المحترمة، وإلى عضوها الجليل سعادة الدكتور أحمد أمين، وإلى كل غيور من حماة القرآن.

علمنا أن الرئيس الأول لهذه الأمة يحمل رسالة مقدسة إلهية وهو لهذه الرسالة، يحتاج إلى قوة عقلية كاملة تؤهله لأن يكون أمينا على عهد السماء، وتعينه على أداء مهمته بالتبليغ، وتسهل للمدعوين طريق القبول، وتقطع عذر المعتذر وريب المرتاب، وهذه القوة الكاملة فى العقل النظرى والعقل العملى هى العصمة. [۴] .

ويسهل علينا التصديق بهذا القول إذا علمنا أن هذه الرسالة دين يريد الله تبليغه إلى عامة البشر، وناموس يجب أن تخضع له جميع الأمم والأجيال، وفى ذلك ما فيه من المتاعب والمصاعب، وفى البشر ما فيهم من المكابرة والتردد فى أمثال هذه الدعوة، وفى النفوس وما فيها من التعصب لعقيدة الآباء والعادات المألوفة، وكيف يستطيع أن يستظهر على جميع هذه العقبات، ويبلغ عهد الله كاملا غير منقوص إذا لم تكن له تلك القوة.... العصمة.

أقول: كيف يستطيع أن يظهر على جميع هذه العقبات إذا لم يكن معصوما.

(۱) لأن غير المعصوم قد يخل فى التبليغ، فيزيد فى الرسالة أو ينقص، عن عمد أو غير عمد.

(۲) وكيف يثق الناس بدعوته مع هذا التجويز.

(۳) وكيف يصدقونه فى رسالته إذا رأوا من فعله ما يناقض قوله، والناس يقيسون أعما الإنسان بعضها على بعض، وخصوصا فى هؤلاء المثاليين الذين يريدون أن يكونوا أدلّاء للناس على الخير، وقادتهم إلى الهدى.

(۴) يمتنع أن يكون النبى غير معصوم، لأن اتباعه واجب على أفراد الأمة فى كل ما يقول وفى كل ما يعمل، ووجوب اتباعه هذا بحكم الكتاب وبحكم العقل، فيكون صدور الخطايا منه سببا لحصول التناقض فى أحكام الله.

(۵) ولأن ارتكاب الجرائم يوجب له الفسق، فيجب رد شهادته بحكم الكتاب.

هذا نموذج صغير من الأدلة التى تقيمها الشيعة على عصمة الأنبياء، وما أكثر أدلتهم على ذلك، وإذا بلغ إحصاء الأدلة على عصمة الإمام إلى ألفى دليل [۵] فكم يبلغ إحصائها على عصمة النبى وآله.

بهذا وبأمثاله يستدل الشيعة على ما يعتقدون، والعقيدة إذا استندت إلى أمثال هذه الحجج أصبحت يقينية لا تقبل التشكيك، والحكم العقلى إذا كان يقينا لزم أن يرد كل حديث يضاده، وان تؤول كل آية يفهم منها ما يخالفه، لأن اليقين لا يقابله أى دليل آخر لأنه

يكون معلوم الكذب.

هكذا يستدل الشيعة على عقيدتهم بعصمة الأنبياء، أما الدكتور فإنه يستدل على عدمالعصمة فى النبى وآله بالحديث الذى يقول: «توبوا إلى ربكم فإنى أتوب إليه فى اليوم مائة مرة» والحديث الذى يقول: «إنه ليغان على قلبى».

أنظر بربك انظر، ثم احكم إن استطعت الحكومة.

يقول الحديث الأول: إن النبى يتوب فى اليوم مائة مرة، والمعنى الظاهر من هذا أنه يذنب فى اليوم مائة ذنب، ويقول الحديث الثانى: إنه ليغان على قلبه، والغين إحاطة الرين بالقلب...

هذا شأن سيد الأنبياء فى فكرة الحديثين أيها الأستاذ وهل يتصور هذا فى غير المستهترين من الناس، وإذن فلا بد من تأويل الحديثين إذا صح سندهما، ولا بد من ردهما إذا لم يكونا صحيحين.

ولو أردنا أن نستعرض هذا النوع من الروايات لوجدنا ألوانا عجيبة من التهم والجرائم الأخلاقية والاجتماعية تنسب إلى الأنبياء الذين أئتمنهم الله على شرائعه، وائتمنهم الخلق على هدايتهم.

وبعد فإن عقيدة المسلم أرفع شأنا من أن تؤسس على أخبار آحاد مشوشة المعانى، وهى وراء هذا الاضطراب مناقضة للبرهان.

لا- بد أن يكون النبى منزها عن الآثام لما ذكرناه من الأدلة، ولما لم نذكره؛ وإذا امتنع عليه أن لا يكون معصوما لأنه نبى، وجب أن يكون الرئيس الثانى معصوما أيضا لأنه إمام، والإمام يحتضن الأمانة المقدسة التى أودعتها السماء بيد الأمين الأول.

لا- أقول أن الإمام يصبح نبيا كالرئيس الأول، لأن النبوة قد ختمت بنص الكتاب، ولكنى أقول: الإمام هو الأمين الثانى على الشريعة، وهو القائم على تبليغها بعد الرسول؛ والشريعة تحتاج إلى حافظ يقوم برعايتها فى مرحلة البقاء الاستمرار، كما تحتاج إلى مبلغ يقوم بنشرها عند التأسيس، وكلا هذين الحافظين يجب أن يكون تعيينه من قبل الله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون). [۶] .

وإذا تماثل الرئيسان فى المهمة وجب أن يكونا متكافئين فى العصمة.

(۱) لأن الإمام واجب الإتباع بنص الكتاب، وقطعى السنة فإذا لم يكن معصوما جاز أن يأمر بما يخالف حكم الله، فيكون ذلك تناقضا بين أحكام الله.

(۲) ويكون الإلزام بطاعته سببا لنقض الغرض.

(۳) ولأن غير المعصوم قد يخفى عليه كثير من الأحكام فلا يتمكن أن يكون حافظا لأحكام الشريعة، وقد كلفه الله بذلك.

(۴) ولأنه إذا جوّز على نفسه الخطأ فى العمل أو فى الاستنتاج وجب عليه أن يتبع غيره لئلا يقع فى الخطأ، وإذا اتبع غيره سقط وجوب اتباعه على الناس، لقوله تعالى: (أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمّن لا يهدى إلا أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون) [۷] الإمام مرجع الأمة العام بعد موت نبيها، إليه ترجع إذا اختلفت، ومن علمه تأخذ إذا جهلت، والإمام مصدر الأمة فيما يتجدد من الأحكام التى لم يوضحها الكتاب، ولم تبينها السنة.

فمن اللازم أن يكون هذا المصدر أعلم الأمة بدينها وأصدقها فى القول والعمل والشرع الذى يعتبر فى شاهد الدعوى أن يكون عدلا، ويشترط فى القاضى أن يكون نزيهاً، أرفع من أن يأتمن على مقدرات الأمة خائنا يتحكم فى نفوسها وأموالها بما يتأول من نصوص الكتاب، وبما يفسر من متشابهات السنة نعم إن الشريعة أرفع شأنا من أن تأتمن مثل هذا على مقدرات الأمة، ثم تأمرها بلزوم طاعته، وتحذرها أشد تحذير عن مخالفته وتحكم «أن من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية». [۸] .

وسواءً أكان وجوب نصب الإمام حكما عقليا كما يقول بعض الحكماء، أم كان سمعيا كما تقوله طائفة من المسلمين، فإن هذه النتيجة لا يجوز أن تختلف ولا يمكن أن تختلف.

هكذا شاء البرهان لهذه الأمة أن تعتقد؛ وأن تجرى على هذا الاعتقاد فيما تعمل، وهكذا شاء لها القرآن أيضا، ولكن التاريخ شاء لها أن تختار، وأن تكون غير معصومة فى هذا الاختيار، وأن تكون مخالفتها هذه سببا لنتائج معقدة يدونها تأريخ المسلمين من حيث

يجب؛ أو من حيث يكره.

ولأعرض عن ذكر هذه المآسى التى قلبت تأريخ المسلمين إلى يومهم الأخير وحكمت على جهود النبى، وجهود المخلصين من أنصاره بعقم الإنتاج، لأعرض عنها فإن الحديث شجى وشجون، ولعل دموع القلم تجرى قبل دموع الكاتب، لأعرض عنها لأنى لا أكتب فى التأريخ، ولا أودّ أن أكون من المؤرخين، ولست فى ضرورة إلى تعليل هذه الكراهة.

من هنا أتى المسلمون أيها الأستاذ، لا من فكرة المهدى، ومن هنا ابتدأ الخلل فى صفوفهم، وأى معنىً لخلل الصفوف غير اختلاف العقيدة.

وما الذى يضر بفكرة المهدى إذا اتخذ المغرضون منها آلة لدعاياتهم؛ ونسجوا حولها خيوطا من الآمال، وما الذى يضر بهذه الفكرة إذا اتضح للناس بعد ذلك كذب الكاذبين وضلال الضالين.

لقد ادعى النبوة كثيرون فى التاريخ، ثم اتضح للناس كذبهم وضلالهم، فلم يأخذ أحد من الناس هذا دليلا على إبطال فكرة النبوة، وقد جرى مثل هذا أى الربوبية منذ القديم.

ولو أردنا أن نبطل كل حق يتشبه به المُدّعون الكاذبون لأبطلنا كل حقيقة موجودة.

هذا هو المقياس الذى يبتكره الأستاذ فى كتاب المهدى والمهدوية، وهذا هو الدليل الذى يبنى عليه إبطال فكرة المهدى، والإصلاح المنتظر...

لا..لا.، أيها الأستاذ.ن «ما هكذا تورد يا سعد الإبل».

تخلّف المسلمون يوم تخلّفوا عما خطه لهم البرهان وحدده لهم القرآن، وانحلت صفوفهم يوم ابتدأ الانحلال فى عقيدتهم، وكان من الضرورى لهم أن يتراجعوا إلى الوراء من ذلك العهد، لولا حنكة فى قادتهم الأُوَل، وثبات فى بقية العقائد.

فكان الفضل لهؤلاء القادة فى تحويل التأخر المحقق إلى حركة بطيئة نحو الاتجاه الأول؛ وكان الوقوف فى آخر عهد الخلفاء الراشدين، وكان التراجع على الوراء بعد ذلك العهد.

من هنا أتى المسلمون أيها الأستاذ، ومن هنا ابتدأ الخلل فى صفوفهم؛ فهل تريد منى أن أقدم لك بعض أدلة الشيعة على أن الخيرة لله فى تعيين الإمام للأمة...، إذن فاستمع:

(۱) علمنا مما تقدم أن الإمام يجب أن يكون عالما بجميع أحكام الشرع وأن يكون علمه بذلك من غير طريق الاجتهاد أو التقليد.

وعلمنا أن الإمام يجب أن تكون له قوة عاصمة، يمتنع بها عن ارتكاب الآثام، وعن الوقوع فى الجرائم عن عمد أو غير عمد، وهذان هما الشرطان الأساسيان فى خلافة النبوة ولا يهمنا أن نثبت بقية الشرائط الأخرى فى الإمام فإن لها كتبا أخرى.

وكلا هذين الشرطين من الأمور التى تخفى عن الأمة، وعلى أهل الحل والعقد منها، فكيف يصح أن يوكل إليها تعيين الإمام.

(۲) كلنا نعلم اختلاف الأمة فى شرائط الإمامة، فإذا كان تعيين الإمام بيدها، كان من الضرورى أن تختار كل جماعة من الأمة ما يوافق مذهبها فى الإمامة ولا تنزل لأخواتها عما تقول، فيلزم اختلاف كلمة الأمة إلى غير اجتماع، وليس بعض هؤلاء الأئمة أحق بوجوب الإتباع من البعض الآخر، فيؤدى إلى إراقة الدماء الزكية.

(۳) وأخيرا إلى استحالة الاختيار، واستحالة الإمامة إذا انحصر أمرها بالاختيار، وفى النتائج السوداء التى وقعت فى عهد على ومعاوية، وفى زمان الحسن والحسين ما يثبت وقوع ذلك وأنه ليس مجرد فرض.

(۴) يمتنع فى العادة أن يطلع جميع أفراد الأمة، أو جميع أهل الحل والعقد من الأمة على اجتماع شرائط الإمامة فى واحد معين من أفراد المسلمين، حتى إذا كانت هذه الشروط متحدة لا خلاف فيها بين الجميع لأن الإطلاع يحتاج إلى معاشرة طويلة لذلك الشخص، وهذا غير ميسور لجميع أفراد المختارين وخصوصا إذا كثر عدد الأمة، واختلفت بلادهم. وتخصيص الاختيار ببعض الأمة استيثار يقبحه العقل، والشرع، وتمنعه المصلحة العامة المشتركة.

(۵) علمنا أن غير الشيعة من فرق المسلمين تكتفى بالعدالة فى الإمام ولنفرض أن الشيعة وافقتهم على ذلك ليكون شرط العدالة إجماعيا بين المسلمين، فهل يكفى هذا الاجتماع كلمتهم حين يختارون.

وهذا الاختلاف الكبير فى معنى العدالة وفى شرائط وجودها، ألاّ يكون حائلا عن الاجتماع، والوحدة فى الاختيار.

نعم إن هذا الاختلاف من أعظم الموانع، وكل من تتبع آراء المسلمين فى تعريف العدالة، يعلم مقدار البون الشاسع بين هذه المذاهب فلو رجع الاختيار إلى الأمة لم يمكنها الاجتماع، إلا أن يكون الحق لشيء آخر وراء العدالة والاختيار.

يستحيل على الأمة أن تختار ثم تجتمع على هذا الاختيار مع هذه الفوارق العظيمة بين الآراء والمذاهب إذا استثنينا الجهات الشخصية التى تجعل الاجتماع أكثر بعدا وأشد استحالة.

وإذا استفتينا تأريخ المسلمين الأُوَل؛ وجدنا السلف المتقدم لم يستطع أن يطبق نظام الاختيار بالمعنى الصحيح من التطبيق، وحديث الفلتة التى وقى الله المسلمين شرّها معروف عن الخليفة الثانى t يرويه المؤرخون والمحدثون على السواء. [۹] .

ولعل هذه الاستحالة هى السبب الحقيقى لعدول الخليفة الأول t عن الاختيار إلى النص على من يخلفه من بعده.

أما الخليفة الثانى فقد جعل الأمر مزيجا من النص والاختيار، ولست أريد التوسع فى هذه المباحث لأن هذا التوسع يبعدنى كثيرا عن الغرض الأول.

ألفت العرب فكرة الشورى، وتحكيم أهل الحل والعقد منذ القديم، فكان من الصعب عليها أن تجنح لحكم البرهان، وكان من الضرورى لهم أن يطبقوا النظام القديم المورث بما يمكنهم من التطبيق، وخضعت طائفة أخرى من المسلمين لحكم البرهان هذا، فكان من الضرورى لهؤلاء أن يختاروا لأنفسهم ما اختاره الله لهم (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم). [۱۰] وكان من الضرورى لهم أيضا أن يسايروا الحكومة الرسمية القائمة حفظا لدماء المسلمين أن تراق، وصونا لكلمة الأمة أن تتفرق ولصفوفها أن تحل، والعقيدة هى العقيدة.

وهذا ما تسميه الشيعة (تقية)، وقد سماها الله تقية حين شرعها فى كتابه (إلا أن تتقوا منهم تقاة). [۱۱] .

وبعد قرون وشؤون أصبحت حكومة البرهان حكومة سرية تعمل لتفريق كلمة المسلمين، وأصبح الفريق الذى يعضده القرآن حزبا سياسيا يعرض الحكومة القائمة وعادت فكرة المهدى تعلة بسيطة يتعلل بها ضعفاء وترهم الحاضر فابتسموا للمستقبل، وحرمتهم اليقظة فاستسلموا للخيال، وكونوا مذهبهم من هذا الخوف ومن هذا الرجاء.

هذا هو رأى الدكتور أحمد أمين، ورأى فريق كبير من أدباء النقد الصحيح، والرأى الحر، ومهما عشت أراك الدهر عجب.

هذه قائمة أسماء الأئمة الإثنى عشر، وهذا تأريخهم الأحمر الباكى، وهذا تأريخ شيعتهم المظلوم حتى من نواحى تاريخية، اقرأ جميع ذلك بإمعان إذا استطعت أن تقرأ الحقائق الباكية.

اقرأ جميع ذلك ثم انظر: أى ثورة أقامها هذا الفريق ضد حكومة قائمة، وأى حركة إرهابية تزعمها أحد هؤلاء الأئمة المظلومين، إذا استثنينا الحركات التى وقعت على عهد على والحسن، والتأريخ يقول لنا أن هذه الحركات غنما كانت لقمع العدوان ضد الحكومة الشرعية القائمة كالحركات التأديبية التى وقعت على عهد الخليفة الأول.

أما نهضة الحسين، وأظن أن هنا بيت القصيد، فقد عدّها الدكتور من أهم الأحداث المتصلة بفكرة المهدى أما هذه النهضة فلم يكن الحسين يعترف ليزيد بحكومة ظاهرية، وأى حكومة مستقرة يعترف بها الحسين، وهو يرى العراق يراسله بالبيعة، والحجاز يتحفز للوثبة، والجزيرة على مثل البركان، وأقطار المسلمين الأخرى على ما يشبه هذا.

وكيف يستطيع الحسين أن يقف موقف المتفرج من هذه الأحداث، وهو فى العدد الأول من زعماء المسلمين وقد علم من خفايا يزيد ما علمه الآخرون من ظواهره، وكيف يتركه المسلمون أن لا يعمل، ومن الذى يعمل إن لم يكن الحسين هو ذلك العامل.

وأخيرا فقد قتل الحسين يوم الطّفّ، وكان مقتله بداية عهد جديد للشيعة، وقد تلونت عقيدتهم بالدم، وتشربت أعمالهم بالدموع،

ولكنهم أخلدوا بأمر أئمتهم إلى السكون وأحاديث الأئمة من أحفاد الحسين فى تسكين الثورات القائمة والتنديد بالثائرين من أولاد الحسن والحسين كثيرة جدا وإذا استثنينا حركة المختار، وحركة زيد بن على بن الحسين.

أما الذى يكون شوكة فى جنب الدولة القائمة يهدّ من كيانها، ويهزّ من عرشها فهو الظلم الذى اتصف به رؤساء هذه الدول؛ وإراقة الدماء التى عصمها الله فى كتابه وهو نتيجة مباشرة للتعدى عما حده البرهان، وأوضحه القرآن فى معنى الإمامة.

وأما الفرس فإنهم لم يظهروا التشيع لنسب مشيج بينهم وبين العلويين، وقد كان بينهم العباسيين نظير هذه القربى.

وكأن الأستاذ حين تعرضه لهذه الناحية قد نسى أنه من المؤرخين، وأن التأريخ ينكر عليه هذه النتيجة. لأن الفرس لم يكونوا شيعة فى بداية الأمر ولم تعرف العامة من الفارسيين مذهب أهل البيت إلا فى عهد الإمام على الرضا (عليه السلام)، ولم ينتشر التشيع فى أقطار فارس انتشارا تاما إلا فى عهد السلطان محمد خندابنده المغولى، وفى زمان العلامة الحلى [۱۲] لقصة يذكرها بعض المؤرخين فى حوادث سنة ۷۰۷من الهجرة.

وهذا التفويض الإلهى الذى آمن به الفارسيون من زمان الأكاسرة؛ وكان هو السبب فى رضاهم عن أولاد فاطمة، لم يفهم معناه، ولا علاقته بمذهب الشيعة فى الإمامة لأن الشيعة يقولون بوجوب تعيين الإمام من قبل الله على لسان النبى وآله والفرس الذين يتشيعون يعتقدون بهذه العقيدة أيضا، وهذا يخالف معنى التفويض فى الإمامة.

ولعل نظرية التفويض قريبة من معنى الاختيار الذى عليه غير الشيعة من المسلمين لأنهم يقولون: إن نصب الإمام مفوض إلى اختيار الأمة وتعيينها.

ولعل الأستاذ يعبر عن الفيض الإلهى بالتفويض لأنهما يلتقيان بالاشتقاق الكبير.

وإذا كان الفارسيون يؤمنون بنظرية الفيض الإلهى فى الإمام، فأى نكر فى هذا الاعتقاد إذا حتمه الدليل، والفيض الإلهى اصطلاح للفلاسفة يريدون به الوجود المعلول إذا حذفت منه التعينات التى تسبب الكثرة، ويسمونه أيضا الفيض المقدس.

وقد يعبرون بالفيض الإلهى عن الكمال فى صفة من الصفات، فإذا كان الرجل عالما بارعا قالوا إن الله خصه بفيض من عنايته؛ ويريدون بهذا أن الإنسان مفتقر إلى عناية الله فى كل ناحية من نواحيه، وهذا المعنى هو المراد فى الإمامة ونحن إذا اشترطنا فى الإمام أن يكون تعيينه من قبل الله تعالى، كان ذلك اعترافا منا بنظرية الفيض الإلهى.

أليست جميع هذه الكمالات التى نشترطها فى الإمام فيضا من فيض الله، ونفحة من رحمته، أليس الإمام قبسا من نور الله يهتدى به الضالون، وأى فائدة لإمامته إذا فقدت منه هذه الخاصة.

وكأن الدكتور يفهم من الفيض الإلهى، أو القبس الإلهى معنى الحلول أو معنى الاتحاد اللذين تنكرهما الشيعة وتكفّر من يعتقد بهما، والدكتور يريد أن يكون حراً فى التفسير كما هو حر فى الرأى، وإن كانت الحرية فى التفسير محرمة على الناقد النزيه.

منعتنا الأدلة العقلية المتقدمة أن نصدق نظرية الاختيار فى الإمامة، وأحالت ان يكون للأمة حق فى تعيين الإمام.

والقرآن... ماذا يقول لنا القرآن فى ذلك، وهل أهمل القرآن حكم الإمامة، كما أهمل النبى أمر الإمام، وهو الذى يأمر الناس بالوصية حتى بأبسط الأشياء.

ماذا يقول القرآن فى أمر الإمامة.

ألم يجعلها الله عهدا له فى خطابه لإبراهيم، ألا تسمعه حين يقول:(وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إنى جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين) [۱۳] الإمامة عهد الله فلا يتولاه أحد إلا بأمره، والإمام أمين الله على هذا العهد فلا أحد سواه.

وفى الآية الكريمة نظرات تتعلق بالإمامة يذكرها المفسرون والمتكلمون ويشير إليها أهل علم الحديث.

الإمامة عهد الله، والإمام ولى ذلك العهد، هكذا يقول لنا القرآن، وأى بيان أجمع لشرائط الإمامة من هذا التعبير.

هل يمكن أن يعين الله لعهده من لا يؤمن عثاره من الناس، أو من يجوز عليه أن يغير شيئا من الأحكام أليس هذا من التناقض الصريح، وإذن فالإمام معصوم يستحيل عليه الخطأ.

وهل يجوز أن يأتمن على الأمة من لا يفى بحاجتها من العلم، ولا يقوم بتسديدها فى العمل، أليس هذا مفتاحا للطعن فى حكمته، وللتشكيك فى عهده؛ وإذن فالإمام أعلم الأمة وأتقاها، وأشدها صلة بالله.

والآية الكريمة تجرى فى هذا البيان على نهج مألوف بين الناس فإن الملوك طالما سمت الولاية من بعدها عهدا، وسمّت خلفاءها أولياء ذلك العهد، أفترى فى أمر الإمامة أوضح من هذا التعبير.

وقوله تعالى: (أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمّن لا يهدى إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون) [۱۴] وهذه الآية الكريمة تفرض علينا وجود شرطين فى الشخص الذى نتبعه.

۱ـ أن يهدى إلى الحق، فلا بد أن يكون عالما بالحق ظاهره ومستوره.

۲ـ أن لا يكون محتاجا فى هداية نفسه إلى إرشاد غيره وهذا هو معنى العصمة، والتسديد الإلهى، وهذان هما الشرطان الأساسيان فى الإمامة، اللذان أثبتهما الأدلة المتقدمة.

لم يهمل القرآن أمر الإمامة، ولم يهمل النبى أمر الوصية، ولكن الأمة تقول أنهما أهملا ذلك، والتأريخ يساعد الأمة على ما تقول، لأنه كتب بكف من أكف الأمة، وهل أن يخالف التاريخ عقيدة المؤرخ، وأرجو أن يكون اجتهاد أكابر الأمة خير عاذر لهم عن هذا القول الذى كان بذرة للخلاف بين المسلمين.

ما معنى إذهاب الرجس عن أهل البيت الذى شهد به القرآن، وما معنى التطهير الذى حصره بهم دون غيرهم، أليس هذا شهادة بالعصمة؛ وترشيحا للإمامة.

وما معنى هذا التقارن التام بين الثقلين الذى يشهد به النبى الأمين فى حديث الثقلين حين يقول: «لن يفترقا حتى يردا على الحوض»، ويقول: «ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا»، أليست هذه وصية بالإتباع وشهادة بالعصمة.

وحديث الثقلين مستفيض بين علماء الحديث، وقد رواه نيّف وعشرون صحابيا على ما يقول ابن حجر فى الصواعق المحرقة.

العترة والكتاب ثقلان مقترنان، والتمسك بهما حافظ للأمة عن الوقوع فى ضلال، والعترة لا تفارق الكتاب حتى يردا على النبى الحوض.

فإذا كان الكتاب معصوما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلا بد أن تكون العترة نظيرة فى ذلك، لأنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض، فلو كانت العترة غير معصومة جاز عليها أن تخطئ فتفارق الكتاب.

وإذا كان الكتاب محيطا بعلم كل سىء، وفيه تبيان كل شىء لأنه يقول: (ما فرطنا فى الكتاب من شىء) [۱۵] فلا بد أن يكون الثقل الثانى مثله فى هذه الإحاطة، لأنهما لن يفترقا أبدا حتى يردا عليه الحوض.

وإذا كان الكتاب خالدا إلى اليوم الأخير لأنه نظام الشريعة الخالدة، ولن تجد لسنة الله تبديلا، فلا بد أن يكون قرينه من العترة باقيا إلى اليوم الأخير أيضا لأنهما لن يفترقا حتى يردا على النبى الحوض.

هذا ما يقوله النبى وآله فى هذا الحديث، ولكن الأمة تقول أن النبى أهمل الوصية، والتأريخ يساعد الأمة على ما تقول.

ولست أريد أن أمضى مع الحديث إلى حد بعيد، وأتعقب هذه النتائج التى يلقيها النبى الأمين، ولست أريد أن أكرر قائمة أسماء الأئمة من أهل البيت، قرناء الكتاب وأمناء الرسول، فإن لها كتبا أخرى وضعت فى علم الكلام ومباحث العقائد.

ولكنى أريد أن أقول: أن المهدى صفة لخاتم هؤلاء الأمناء الذين شهد لهم الكتاب بالتطهير، وجعلهم النبى وآله قرناء للكتاب، فلا بد أن يكون موجودا لأن العترة والكتاب لا يفترقان حتى يردا على النبى الحوض، وليكن بعد ذلك ظاهرا أو مستورا.

هؤلاء الأئمة من أهل البيت فى رأى الكتاب، وهؤلاء هم نجوم الاهتداء فى رأى السنة،

وهؤلاء هم رجال العترة فى رأى النبى الأمين حين يخلفهم فى الأمة، وحين يضمن للأمة عدم الضلال إذا تمسكت برشده.

أما أئمة أهل البيت فى التاريخ فقد ذكرت لنا كتب الرجال والتراجم من عموم المسلمين، أنهم العابدون الزاهدون الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

وأما هؤلاء الأئمة فى رأى محمد بن إدريس الشافعى فإنه يقول: ما رأيت الناس قد ذهبت بهم

مذاهبهم فى أبحر الغى والجهل ركبت على اسم الله فى سفن النجا

وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل وأمسكت حبل الله وهو ولائهم

كما قد أمرنا بالتمسك بالحبل وأما هؤلاء الأئمة فى رأى الدكتور أحمد أمين فإنهم «يختفون عن الأعين ويرتكبون ما يرتكبون من الإثم» وأن المأمون قد ولّى عليا الرضا من بعده «ليظهر للناس أن هؤلاء يعيشون على الوهم والخداع» [۱۶] أنظر بربك انظر ثم احكم إن استطعت الحكومة...

من الحق أن أمسك عن التعليق هنا، فإن الذى لا- يبالى بما يقول يسهل عليه أن يقول كل شىء، ولو طالبنا الدكتور ببينة ما يقول لأحرجناه أشد الحرج.

ليرتكب الأئمة الإسماعيليون ما يرتكبون من الإثم وليُدَوِّن التاريخ لهم كثيرا من الجرائم، وكثيرا من البذخ والاستيثار، وليرتكب الدعاة الفاطميون والقرامطة أمثال ذلك وأضعافه.

ليفرض جميع ذلك فهل يصح لعاقل أن يجعل هذا دليلا على أن الأئمة من أهل البيت يرتكبون الإثم، ويعيشون على الخداع.

هذه أقيسَة الدكتور التى يقيس بها الرجال، وهذه موازينه التى يستنتج بها التاريخ.

من الحق أن أمسك فقد أوعدت أن لا أعلق شيئا على هذا، وإن سيرة الإمام على الرضا، وسيرة الأئمة من آبائه وأبنائه التى يرويها التأريخ كفيلة برد هذا العدوان.

ولعل فى ارتكاب الأئمة الإسماعيليين وظلمهم دليل جديد على عصمة الأئمة الإثنى عشر وتسديدهم، لأن العصمة لم تدع لأحد من الناس غير هذين الفريقين، فإذا وجب وجود

الإمام المعصوم بحكم البرهان ودلالة القرآن وإذا انتفت العصمة من الإسماعيليين لأنهم يرتكبون الآثام ثبتت للفريق الآخر لأن غير هذين الفريقين ليس معصوما بالإجماع.

وقد تكرر فى جوامع الحديث ذكر الخلفاء الإثنى عشر من قريش، وفى الصحيحين عدد غير قليل من هذه الأحاديث أيضا، كقوله وآله فى صحيح مسلم: «لا يزال هذا الدين قائما حتى تقوم الساعة، ويكون عليهم اثنا عشر خليفة...كلهم من قريش» وفى صحيح البخارى «يكون بعدى اثنا عشر أميرا، وقال كلهم من قريش».

والمتتبع يرى ارتباكا شديدا بين شراح السنة وفى شرح هذه الأخبار، وفى تطبيق هؤلاء الخلفاء الإثنى عشر وربما التجأ بعض الشراح إلى إدخال يزيد المستهتر، والوليد الفاجر فى ضمن هؤلاء الخلفاء الذين يكون الدين عزيزا على عهدهم على ما فى بعض حمل الحديث.

وهذا الباب الطويل الذى يعقده علماء الحديث فى أن الأئمة من قريش، وهذه الروايات الكثيرة التى تكرر هذا القول، طالما وقف النقاد أيضا عندها فطال منهم الوقوف، ما معنى اختصاص الإمامة بقريش إذا حصل غير القرشى على ثقة المسلمين، وعلى العصبية التى يشترطها ابن خلدون فى الملك، وما معنى تدخل الحديث فى تعيين الإمام ’ذا كان اختياره من حقوق الأمة وحدها، وما معنى تمسك المهاجرين يوم الخلافة ببعض النصوص لحرمان الأنصار.

أليست هذه المميزات تحويرا فى معنى الاختيار، أليست هذه النصوص توضح للأمة أن وجه المصلحة قد يخفى عليها.

يعين النبى الإمامة فى المهاجرين دون الأنصار، وفى قريش دون سائر المسلمين، ليرفع الاختلاف من الأمة على قريش، ثم لا يهمه أن

يقع الاختلاف بين المهاجرين من قريش بعد هذا الترشيح، وهذا الإغراء، وقريش التى لم تخضع للإسلام إلا بعد عناء وبلاء، والأمة هى الأمة فى مذاهبها وآرائها، ونبى المسلمين هو نبيهم فى عطفه ورأفته عليهم، وموقف الموتورين من قبل الإسلام وهو موقفهم فى غموضه واضطرابه.

لم يهمل النبى أمر الوصية، ولكن الأمة تقول أنه قد أهمل والتاريخ يساعدها على ما تقول، لأنه كتب بكفّ من أكفّ الأمة.

ترك النبى خليفتين لا يفترقا حتى يردا عليه الحوض وشهد القرآن لكل واحد من هذين الخليفتين بالعصمة والتسديد، وهذا هو المبدأ الحقيقى لفكرة المهدى.

فكرة المهدى نشأت من القول بضرورة وجود إمام معصوم فى كل جيل حافظ للشريعة، وقرين للكتاب.

وفى الخاتمة من سجل الخلفاء الإثنى عشر، وفى العدد الأخير من قائمة أسمائهم يقع اسم الإمام المهدى المنتظر.

وإذا حتم الدليل وجوده وبقائه لأنه الفرد الأخير من قرناء الكتاب، وإذا أثبت القرآن عصمته وإمامته لأن البقية الباقية من أهل آية التطهير، فليكن مستورا إذا أوجبت عليه الظروف أن يستتر، فإن الاختفاء لا يضر بشأن من شؤونه، إذا كان غيره سبب هذا الاختفاء، كما لا يضر بالشمس سترها من وراء السحاب. پاورقى

[۱] علمنا أن الرئيس الأول مؤسس لشريعة إلهية يستفيدها من وحى السماء، وهذه هى المهمة الوحيدة التى لا يصح أن يشاركه فيها أحد، لأن نظام الشريعة قد حكم بانتهاء النبوات.

[۲] سورة النمل ۶۵. الكف آية ۲۶، ۲۷.

[۳] سورة الجن آية ۲۶.

[۴] يقول المتكلمون: العصمة لطف من الله عزّ وجل يحصل للكاملين من أفراد البشر يمتنعون بها عن ارتكاب الجرائم عمدا، ويرتفعون عن الوقوع بها خطأ؛ وهذا التعريف يؤول إلى القوة العقلية التى ذكرناها لتفسير العصمة؛ ويقول الخلقيون فى تعريف العدالة: هى ملكة نفسانية يحصل بسببها الاعتدال التام فى جميع ملكات النفس وصفاتها،

وهذه الملكة تحصل من سيطرة العقل على جميع قوى الإنسان، وإذن فمبدأ العدالة قوة العقل، فإذا كانت هذه القوة فى أسمى مراتبها سميت «عصمة».

[۵] أنظر إلى كتاب الألفين للعلامة الحسن بن يوسف بن على بن المطهر المعروف بالعلامة الحلى المتوفى سنة ۷۲للهجرة.

[۶] سورة الحجر آية ۹.

[۷] أنظر صحيح البخارى كتاب الفتن.

[۸] أنظر صحيح البخارى كتاب الفتن.

[۹] أنظر صحيح البخارى، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة.

[۱۰] سورة الأحزاب آية ۳۶.

[۱۱] سورة آل عمران آية ۲۸.

[۱۲] الحسن بن يوسف على بن المطهر الشهير بالعلامة الحلى المتوفى سنة۷۲۶.

[۱۳] سورة البقرة آية ۱۲۴.

[۱۴] سورة يونس آية۳۴.

[۱۵] سورة الأنعام آية ۳۸.

[۱۶] أنظر صحيفة ۶۱ من كتاب المهدى والمهدوية.

مع الناقدين

مع الناقدين

لبست فكرة المهدى أشكالاً متنوعة من البحث، ومرت عليها ألوان مختلفة من الجرح والتعديل، وأولاها الباحثون على اختلافهم مزيداً من الاهتمام؛ وكثيراً من العناية، تفنن الناقدون لها فى النقد، والمؤيدون لها فى التأييد، واستخدموا فى

نقدها وفى تأييدها الأدب المنظوم والمنثور وإن أساء الأدب كثير من أولئك فى نقدهم، فكان من الضرورى أن يقابلهم هؤلاء بالمثل.

ولو جمعت هذه المناقضات لكانت مجموعة نادرة من وحى التناقض فى العقيدة يضحك لها الأدب، ويأسف لها الإسلام ويبكى لها نبى الإسلام.

وفى آخر من جاء من نقاد هذه الفكرة سعادة الدكتور أحمد أمين، والدكتور مؤلف كبير حين يكتب فى التأريخ، وهو أديب ماهر حين يترجم أو ينقل، إذا كان فى الترجمة والنقل ما يسمى أدباً، ولكن الدكتور يفقد معنويته حين يحاول أن يكون من الناقدين.

هذا ما توسمته فى الدكتور أول يوم رأيته فيه ناقداً وقد ضمنت لى القراءات المتتابعة صحة هذا التوسم، وكأن الدكتور تعوزه الحاسة الدقيقة التى تعين له المفصل من الرأى ليوقع الضربة الفاصلة، وهذا أهم ما يحتاج إليه الناقدون.

والحق أنى لم ألق كبير عناء فى نقد آراء الأستاذ فى كتاب المهدى والمهدوية؛ لأن مواضع الخلل فيها ظاهرة جداً، وقد رأى القارئ كثيراً من هذه الآراء فى الأبحاث المتقدمة؛ وعلم مبلغها من العلم، وسيقف على البقية منها فى بقية الكتاب.

ونحن يمكننا أن نصنف النقود التى يذكرها الدكتور إلى صنفين:

الصنف الأول النقود التى تتعلق بنفس الفكرة.

الصنف الثانى النقود التى تتعلق بشؤون الفكرة؛ وأدوارها فى التأريخ والمذاهب، والصنف الأول هو الذى عقدنا له هذا الفصل، وسيكون الصنف الثانى موضوع بحثنا الآتى.

يشيد الأستاذ بذكر العقل، ويؤمن بحكومته أشد الإيمان، ويجعل له الحكومة الفاصلة فى رد الحديث ونقده ويدعوا إلى تحكيمه فى فكرة المهدى، وفى الأحاديث التى نقلت فى المهدى؛ وهو بهذه الفكرة من المنصفين، ونحن نرحب بقوله هذا ونؤيده أتم التأييد، على أن يكون معنى العقل الذى تجعل له الحكومة هو البرهان الصحيح الذى لا ينتفض ولا يمكن

أن تتخلف له نتيجة.

ولذلك وجب علينا تأويل كل آية دلت بظاهرها على تجسيم الله، وتشبيهه حين قام البرهان العقلى على استحالة ذلك، ونبذنا كل رواية ناقضت هذه العقيدة وإن كانت مروية فى الصحيحين.

ولذلك أيضاً أوّلنا كل رواية أو حديث دل على نفى العصمة عن الأنبياء والأئمة، ورددنا كل حديث لا يمكن فيه التأويل حين اضطرنا البرهان إلى القول بعصمتهم.

والسر فى ذلك أن البرهان يقينى، ونتيجته لا تقبل التشكيك، ولا يمكن فيها الانتقاض، ولا قيمة للدليل إذا كان اليقين على خِلافه لأنه يكون معلوم الكذب، أما الآيات فيجب تأويلها لأنها لا تخالف المعقول، وهذا شىء لا أظن أن يقع فيه خلاف من أحد.

أما إذا فسر العقلى الذى يدعونا الدكتور إلى تحكيمه بمشتهيات النفوس، وموافقة الميول، فلا يؤمن بحكمه منصف ولا يلتفت إليه عاقل، لأن هذه الميول متنوعة مختلفة، وليس نفس ميولها ومألوفاتها، ومن الجور أن نطلب من الدليل الواحد أن يوافق جميع هذه الميول، وتخصيص ميول الدكتور دون غيره استيثار يمنعه هو فى كتابه الأخلاق.

من المضحك جداً أن نجعل موافقة الميول والمألوفات ميزاناً فى جرح الأخبار وتعديلها، والدكتور حين يدعونا إلى ذلك فهو يذكرنا عهد الطفولة الحبيب، حين كنا ننكر كل خبر يخالف مألوفاتنا، لا يعقل أن يكون فى الدنيا ماء أُجاج، لأن الفرات يفيض بالماء العذب.

وكيف يعقل أن يتطاير الماء شرراً إذا تلاطمت أمواجه فى الوقت المظلم.

وكيف يعقل أن يجرى الماء على اتجاهين متعاكسين ثم يزيد ولا ينقص إلا فى أيام الزيادة.

إذن فكل ما يُحدثنا به أصدقاؤنا من أخبار البحر المالح وأمواجه المتلاطمة فى الليل، وعن المد والجزر فيه باطل لأنه يخالف المعقول.

بهذا الميزان كنا ننقد الأخبار، فهل يطلب الدكتور تجديد ذلك العهد والعودة إلى هذه المقاييس.

وأتذكَر أن بعض أصدقائنا قد احتفظ بهذه المقاييس الجميلة حتى تجاوز الأربعين فهو يقول عن الهاتف(التليفون) هو آلة سحرية، لأنه يستحيل أن ينتقل الكلام من مكان إلى مكان بواسطة سلك غير أجوف.

ولما أخبرناه عن المذياع ضحك من عقولنا كثيراً وقال هو أشد استحالة من الهاتف لأنكم تقولون أنه بغير سلك، والهاتف والمذياع والحاكى، وكل ما يشبه هذه الآلات سحر من عمل ساحر واحد ولكنكم لا تفقهون.

من المضحك جداً أن نحكم هذه المقاييس الناشئة من ضيق النظر وقلة الإحاطة من المضحك جداً أن نحكمها فى أخبار الثقاة المأمونين، أو العقائد التى يؤسسها البرهان وإذن فلنستعرض النقود التى يوجهها الأستاذ إلى فكرة المهدى ليتضح لنا مخالفة الفكرة للعقل.

أحاديث المهدى تخالف العقل فيلزم ردها لأن هذه الفكرة تبتنى:

على عصمة الامام و اى امام معصوم

على عصمة الامام و اى امام معصوم

وهذا نقد يوجهه الأستاذ إلى القرآن الذى شرط العصمة فى الإمام، وشهد للأئمة من أهل البيت بالتطهير، وإذهاب الرجس، وإلى حديث الثقلين وأمثاله من صحيح السنة، وقد أسلفنا الكلام على ذلك فلا نعيده.

يعيش مئات السنين

يعيش مئات السنين

وهذا نقد ثانٍ يوجهه الدكتور إلى القرآن أيضاً، لأنه يخبر عما يخالف الطبيعة فى عمر نوح النبى فيقول: (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون)، [۱] ولم يحدثنا عن عمره قبل أن يُرسَل نبياً، وكم بلغ عمره بعد الطوفان إلى حين وفاته.

ويخبرنا أيضاً عما يخالف المألوف فى عمر إبليس، لأنه ينبئ عن وجوده قبل خلق الإنسان الأول، ويقول عنه أنه(من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم). [۲] .

ويخبرنا بنظير ذلك عن المسيح أيضاً، لأنه يقول: (وما قتلوه يقيناً، بل رفعه الله غليه وكان الله عزيزاً حكيماً وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً). [۳] .

لابد أن يؤمن جميع أهل الكتاب بالمسيح قبل موته وإذن فالمسيح لم يمت ولم يقتل والآية الأخرى: (إنى متوفيك ورافعك إلىّ) [۴] تجرى على ضرب من المجاز والتشبيه.

وفى الأحاديث والتأريخ قصص نادرة للمعمرين، والأستاذ قد قرأها مراراً لأنه من المؤرخين.

وقصة لقمان بن عاد الذى عاش عمر سبعة نسور معروفة عند المؤرخين، وقول العرب: طال الأبد على لبد من الأمثال السائرة عندهم، وكذلك قول النابغة:

أخى عليها الذى أخنى على لبد ولبد هو آخر النسور السبعة التى عاش عمرها لقمان هذا، وفيه يقول الأعشى: أنت الذى ألهيت قيلاً

بكأسه

ولقمان إذ خبرت لقمان فى العمر لنفسك إذ تختار سبعة أنسر

إذا مضى نسر خلوت إلى نسر فعمر حتى خال إن نسوره

خلود وهل تبقى النفوس على الدهر وقال لأدناهنّ إذ حلّ ريشه

هلكت وأهلكت ابن عاد وما تدرى وفيه يقول لبيد: وقلد جرى لبد فأدرك جريه

ريب المنون وكان غير مثقل لما رأى لبد النسور تطايرت

رفع القوادم كالفقير الأعزل من تحته لقمان يرجو نهضة

ولقد يرى لقمان أن لا يأتلى وناهيك بعمر سبعة نسور، والنسر من أطول الحيوانات عمراً وأقلّ ما قاله المؤرخون عن لقمان هذا أنه قد بلغ خمسمائة وستّين سنة وقيل أضعاف ذلك.

وقول المؤرخين عن قس بن ساعدة الأيادى أنّه عاش سبعمائة سنة معروف وقيل أقل من ذلك.

والذين عاشوا بين الثلاثمائة والأربعمائة كثيرون فى التاريخ. فمن هؤلاء الربيع بن ضبيع الفرارى الذى يقول: أصبح منّى الشباب قد حسرا

إن ينأ عنى فقد ثوى عصرا ها أنا ذا آمل الخلود وقد

أدرك عقلى ومولدى حجرا [۵] . وهو الذى يقول لعبد الملك بن مروان فى أيام خلافته عشت مائتى سنة فى فترة عيسى، وعشرين ومائة فى الجاهلية، وستّين فى الإسلام وقصته معروفة.

ومنهم دويد بن زيد بن نهد الذى يقول: ألقى علىّ الدهر رجلاً ويداً

والدهر ما أصلح يوماً أفسدا يصلح ما أفسده اليوم غداً

وقد بلغ من العمر أربعمائة وستاً وخمسين سنة على ما يذكره المؤرّخون. [۶] . ومنهم عبد المسيح بن بقلة الغسانى الذى يقول: حلبت الدهر أشطره حياتى

ونلت من المنى فوق المزيد وكافحت الأمور وكافحتنى

ولم أحفل بمعضلة كؤود وكدت أنال فى الشرف الثريا

ولكن لا سبيل إلى الخلود وقد عاش ثلاثمائة وخمسين عاماً. [۷] .

ومنهم أكثم بن صيفى بن رباح الأسدى أحد حكّام العرب المشهورين وقد عاش ثلاثمائة وثمانين سنة، ومنهم الحارث بن مضاض الجرهمى الذى يقول: كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا

أنيس ولم يسمر بمكّة سامر بلى نحن كنّا أهلنا فأبادنا

صروف الليالى والجدود العواثر وقد عاش أربعمائة سنة، ومنهم عمرو بن جمعة الدوسى الذى يقول: ثلاث مئين قد مررن كواملاً

وها أنا هذا أرتجى مر أربع فأصبحت مثل النسر طارت فراخه

إذا رام تطايراً يقال له قع أخبر أخبار القرون التى مضت

ولابد يوماً أن يطار بمصرعى وقد بلغ ما يرجوه فقد مرّت عليه أربعمائة سنة على ما يقول بعض المؤرّخين، ويقول بعضهم أن هذه الأبيات لعامر بن الظرب العدوانى وقد بلغ الثلاثمائة.

ومنهم المستوغر عمر بن ربيعة بن كعب الذى يقول: ولقد سئمت من الحياة وطولها

وعمرت من عدد السنين مئيتا مئة أتت من بعدها مئتان لى

وازددت من عدد الشهور سنيناً هل قد بقى إلاّ كما قد فاتنا

يوم يكر وليلة تحدونا قد بلغ من العمر ثلاثمائة وعشرين عاماً وقيل أكثر من ذلك. [۸] .

وما أكثر المعمرين فى التاريخ، وقد قرأ الدكتور أخبارهم مراراً لأنه من المؤرخين والأحاديث عن عمر الرجال مثبتة فى الصحاح من جوامع الحديث، وقد روى مسلم بعض هذه الأحاديث فى كتاب الفتن من صحيحه، وأحاديث الخضر مشهورة بين المسلمين وإن ظهر التشكيك فيها من الدكتور فى ص۱۱۲ من كتاب المهدى والمهدوية.

هذا حكم القرآن والتأريخ فى نقض رأى الأستاذ الجليل، أما العلم الحديث فقد أثبت امكان تعمير الإنسان ألوفاً من السنين كما تعمّر الأشجار، وقد أجرى العلماء تجارب كثيرة لتحقيق هذه النتيجة، وقد أثبتت التجارب صحتها، فقد بقيت أجزاء الحيوان بعد انفصالها حية نامية واستمرت على حياتها ونموها مدة طويلة من السنين، لا تصل إليها بحسب العادة، وكانوا يتعاهدون هذه الأجزاء بالأغذية المناسبة، وأجريت نظائر هذه التجارب فى أعضاء الإنسان وقلبه، وكليته، فكانت حية نامية ما دام الغذاء موفوراً لها.

وفى مجلة المقتطف كلمة مفصلة عن هذه التجارب، وهذه النتيجة يجدها القارئ فى العدد الثالث من سنتها التاسعة والخمسين.

وبعد هذا فهل الدكتور الجليل لا يزال مصراً على أن طول العمر شىء يخالف العقل وهل تصدق معى أن الدكتور فى رأيه هذا يحيلنا إلى مقاييس الأطفال، وإن بلغ ما بلغ من العلم، ورحم الله ذلك الصديق القديم.

يقول الأستاذ: پاورقى

[۱] سورة العنكبوت آية ۱۴.

[۲] سورة الحجر الآيات ۳۷،۳۸.

[۳] سورة النساء الآيات ۱۵۷،۱۵۸،۱۵۹.

[۴] سورة آل عمران آية ۵۵.

[۵] أنظر ص ۱۷۱ من أمالى السيد المرتضى.

[۶] أنظر ص ۱۷۱ من أمالى السيد المرتضى.

[۷] أنظر ص ۱۸۸ من المصدر المتقدم.

[۸] ص۱۶۹ من نفس المصدر.

و أصبح لا يجوز على العقول غمام مختلف

و أصبح لا يجوز على العقول غمام مختلف

وهذا نوع جديد من انقد، يؤسسه الأستاذ على رأى جديد فى الإمامة، يضيف إلى شرائط الإمامة شرطاً جديداً لم يقل به أحد من المسلمين، ويفرض هذا الشرط فرضاً على جميع العقول، ثم يؤسس نقده على هذا الرأى المفروض.

يشترط الدكتور فى الإمام أن يكون ظاهراً غير مستور ويرى أن هذا الحكم يجب أن يكون إجماعياً تخضع له جميع العقول لأن الذى يفرضه هو الدكتور أحمد أمين، ولذلك كان الاختفاء من الإمام مخلاً بإمامته، وأصبح لا يجوز على العقول إمام مختف، وما أجدرنا بالسكوت عن أمثال هذه الأقيسة لو لم يكن الكاتب هو الدكتور أحمد أمين، والدكتور من الأدباء النابهين الذين يحسب النشء لآرائهم ألف حساب والذين يستقون من علمه فى العراق وفى الأقطار العربية والمسلمة أضعاف تلاميذه فى مصر ومن لهؤلاء القرّاء المتفاوتين فى المدارك أن يعلموا أن الأستاذ يتجنى على الشيعة فى هذا النقد ويجنى على العقول بهذا الفرض والأستاذ نفسه يعترف بأنه ليس من المعصومين، يحاول الدكتور أن يجعل شرائط الإمامة أعظم من شرائط النبوة فهل سمعت بأعجب من هذا وقد قلت أن الأستاذ يفقد معنويته إذا حاول أن يكون من الناقدين فكيف إذا حاول أن يكون مبتكراً وناقداً فى وقت واحد.

الإمامة نيابة عامة عن النبوة فلا يعقل أن تكون شرائطها أعظم من شرائط النبوة، ولم يذهب إلى هذا أحد من المسلمين، والشيعة الذين

يقولون أن الإمامة منصب إلهى لا يشترطون فى الإمام أكثر مما يشترطون فى النبى والأستاذ يعلم ذلك جيداً لأنه مؤرخ كبير، والمذاهب والآراء تشكل جزءً مهماً من أجزاء التأريخ.

وبعد فلماذا لا يجوز للإمام أن يختفى إذا قضت المصلحة له بالاختفاء كما جاز للأنبياء أن تحتجب إذا أوجبت المصلحة عليهم الاحتجاب.

وقد حدثنا القرآن عن غيبة موسى عن قومه أربعين ليلة، واحتجاب يونس مدة اختلف فيها المفسرون، وقرأنا فى سيرة النبى اختفائه فى الغار ثلاثة أيام وقبله فى الشعب ثلاث سنين، وحدثنا التاريخ عن الأنبياء السابقين بأمثال ذلك، وقد يفرق الأستاذ فى الغيبة

بين طول المدة وقصرها، وهذه التفرقة لا ينبغى أن يفكر بها الأستاذ إذا كان السبب

للغيبة هو اقتضاء المصلحة، والمصلحة التى تكون سبباً للاحتجاب مدة قصيرة قد تكون

سبباً للاحتجاب مدة طويلة، وقد سمعنا حديث القرآن عن غيبة المسيح، وغيبة المسيح

هذه تزيد على غيبة المهدى بتسعة قرون.

ولماذا لا يجوز للإمام أن يحتجب إذا ألجأته الأمة إلى الاحتجاب بنفسه، كما ألجأت آبائه إلى الاحتجاب بمذهبهم.

لماذا لا يجوز له أن يحتجب حقناً لدمه أن يطل، وحفظاً لدعوته أن تستأصل.

وأى عقل يحرم عليه الفرار من ظلم الظالمين وجور الجائرين.

ولأى سبب معقول يحرم عليه تأجيل دعوته إلى غد إذا استحال عليه أن يبلغها اليوم.

العقول تحرم على المظلوم أن يقدم نفسه لقمة سائغة لأعدائه يستبيحون دمه ويستحلون حرمته.

والعقول تحتم على صاحب المبدأ أن ينتظر الفرصة المناسبة لنشر مبدئه وبث دعوته، بهذا تحكم العقول أيها الأستاذ، وعلى هذا تتفق.

وكلنا نعلم ما لقى أهل البيت من الجور والتشريد، وما لقى أتباعهم من القتل والتعذيب، ألا يكون هذا مسوغاً لبقية العترة أن يحتجب حقناً لدمه الحاضر؛ وتمهيداً لدعوته فى المستقبل، على أن كل نهضة يجب أن يتقدمها تجمع، وكل ثورة يجب أن يسبقها سكون، وقد علمنا أن الأسد يتحفز ثم يثب، وإن البركان يتجمع ثم يثور، هذه سنّة الطبيعة، وهذه سنّة العقول أيضاً ولن تجد لسنة الله تبديلاً، وكلما ازدادت الحركة أهمية، وكلما كبرت النهضة شأناً، وجب أن يكون التريث قبلها أكثر، وأن يكون التجمع لها أشد، فكيف كان الناهض يريد أن يملأ الأرض عدلاً بعد ما ملئت جوراً، وهل يمكن هذا إلا بعد رقى البشر فى معارفهم وعلومهم، وهذا يحتاج إلى مضى أزمان، لا بد للناهض أن ينتظر الوقت المناسب لنهضته، ولا بد للدكتور أن يصدق بهذه الفكرة، لأنى أعلم أنه من المتفائلين للعالم بالصلاح وهل يحيل على العالم أن يصل إلى الذروة فى العدل الخلقى كما وصل على الذروة فى العلم المادى.

أنا أعيذ الدكتور من هذه النظرة لأنها نظرة المتشائمين.

يخرج فى زمان قد حدد

يخرج فى زمان قد حدد

ولست أظلم الدكتور إذا قلت: أنه فى نقده هذا لم يكن من المنصفين. لأن الشيعة لا تحدد زماناً لخروج إمامها الثانى عشر، وهى تكذّب قول من يدّعى التحديد لذلك الزمان، ولا تعتنى باليازرجات وحساب الجمل وأمثالها؛ وكتبهم شاهدة على ما أقول.

ومن المضحك جداً ما نقله الأستاذ عن ابن خلدون: أن بعض الناس وهذا البعض من الشيعة بالطبع كانوا يحسبون خروج الإمام بحساب الجمل، فيحددون زمان خروجه، فإذا جاء هذا الوقت ولم يخرج ادعوا أن هذا التاريخ تأريخ ولادته لا تاريخ خروجه.

فهل يسمح لى الدكتور أن أقول له: أن نقل هذه الحكايات من قلة التثبت، و إلا فأى فرد من أفراد الشيعة يشك فى ولادة المهدى ليصح منه هذا القول، وإذن فهذا القول من التّهم التى يلصقها بالشيعة، ولست أريد أن أتعقب كل كلمة من هذا القبيل فإن للهزل كتباً

أخرى، ولإحصاء الكذب أناس آخرين.

وهو فى استثاره يحرك أتباعه ليزيلوا المظالم

وهو فى استثاره يحرك أتباعه ليزيلوا المظالم

وهـذا النقـد أيضاً يجب أن نضـعه فى القائمـة السابقـة التى افتريت على الشـيعة، وبعد فهل صدقت معى أن الشـيعة مظلومون حتى فى نواحى التأريخ؛ لا تقول الشيعة أن الإمام يحرك أتباعه ليزيلوا المظالم، وهو يمدهم من وراء الغيب، ولو صح هذا لم يجرأ الدكتور أن يلصق بهم أمثال هذه التهم، ولكن الشـيعة تقول وتبرهن على ما تقول أنه سيخرج عند أول فرصة ممكنة للخروج فيزيل المظالم؛ ويقيم العدل، ويطبق الشريعة بالمعنى الصحيح من التطبيق.

والدكتور يفترض عالماً غير عالمنا المحسوس، وناساً غير ناسنا الموجودين فيقول:

إنما الطريق الطبيعى هو ظهور مصلح اجتماعى يشعر الناس بالألم من الظلم، والطموح إلى

العدل، فيضـطهد ويعذب، ولا يزال أتباعه يكثرون، وكلما عذب أمام الناس ازدادت دعوته قبولاً حتى يقوى فيزيل المظلمة أو المظالم التى دعا إلى إزالتها؛ ويحل الصالح محل الفاسد.

ولكن الأسـتاذ فإنه أن الأقوياء قد تسـتعمل مع المصـلح طريقاً أقصـر من التعذيب فهل فى اسـتطاعة الدكتور أن يضمن للمصلح حياته من الأقوياء حتى يكثر أتباعه وينتشرون ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

لست أظن أن الدكتور يجرأ على هذا الضمان.

هـذه هى النقود التى يوجههـا إلى فكرة المهـدى. أما بقيـة الأشـياء التى يعلقها على هـذه الفكرة فلا أتعرض لها بشـىء لأنى لا أودّ أن أحطّ من قيمة أستاذ كبير.

المهدوية فى التاريخ

المهدوية فى التاريخ

أرانى أمـام حقيقـة لاذعـة، يسـوقنى إليهـا البحث فى هـذا الموضـوع، وأرانى مضـطرا إلى الجهر بهـا وإن أسـاءت للـدكتور حفظه الله، وأساءت كثيرا من أصدقائه المخلصين وفى مقدمتهم صديقه الجديد محمد أمين زين الدين.

لست أكشف مستورا ولكنى أكره أن أحرر كل شـىء، ولكن ما الحيلة إذا ألجأنى الأستاذ أن أقول، وماذا أصنع إذا اضطرنى الحق أن أجهر، وهـل بإمكـانى أن أغضب الحـق لرضـى أحمـد أمين أو محمـد أمين، أو أسـكت عن الحـق فـأكون شـيطانا أخرس كمـا يقول الحديث، وكما يقول العقل أيضاً.

ليس بإمكـانى ذلـك ولاـ بإمكـان كل كاتب يتحرى الحقائق وإذن فلأقل ما شاء لى الحق أن أقول، وليغضب من يغضب، وليرض من يرضى.

علم كـل بـاحث فى المِلل والنحل أن الشـيعة تشـتمل على فرق متكثرة تتباين فى العقيـدة وتختلف فى المـذاهب والآراء وإن اجتمعت على تقـديم علىّ على غيره من الخلفـاء، وأضـاف المفترون إليهـا فرقـا خياليـة موهومـة لم يعرف لهـا الواقع اسـما ولم يعين لهـا الزمان مسـمى. ولكن كتب المِلل والنحل تذكر هذه الفِرق، وتدوّن لها آراء ومعتقدات، وتعيّن لها زعماء ومؤسسين، ولد بعضهم الخيال ولم يلـده التاريـخ، وسواء أصـح هـذا أم لم يصح؛ فقد أصـبحت الشـيعة عند هؤلاء فرقا كثيرة العدد ولأقوال وعلم كل باحث فى المذاهب هذه الكثرة فى فرق الشيعة، وهذا التباين بين معتقداتها، ولكن سعادة الدكتور

يأبى له تتبعه إلا أن يجمع الشـيعة على صـعيد واحـد ويخاطبهم بلسان واحـد، فكل عقيدة ثبتت لبعضـهم فقد ثبتت للجميع وكل عمل

يصدره بعضهم فقد أصدره الجميع، وكل تصرّف وقع من بعضهم فقد وقع من الجميع، ولذلك فالشيعة عنده متناقضون فى عقائدهم وأعمالهم، والشيعة مؤاخذون عنده بما ترتكبه أيّة فِرقة من فِرقهم، وإن خرجت هذه الفرقة من خبر

كان ودخلت فى خبر ليس كما يقولون.

و إلا فأى شخص من المتعلمين يجهل أن الكيسانية غير الزيدية، وإن الإسماعيليين غير البابيين، وإن جميع هذه الطوائف غير الإمامية الإثنى عشرية.

وأى شخص من المتعلمين يجهل أن هذه الفِرق تتباين فى عقائدها، وتختلف فى مسالكها، وإن كل واحدة من هذه الفِرق تتميز بعقيدة لا يصح لنا أن ننسبها إلى فِرقة أخرى، أى شخص يجهل ذلك.

وهل يصح لعاقل أن يقول: أن بعض المصريين يرتكب القبائح فيجب أن يكون جميع المصريين أو جميع العرب والمسلمين يرتكبون تلك الآثام، أو يقول: أن بعض الغربيين يجهلون القراءة والكتابة فلا بد أن يكون جميع الغربيين أميين لا يقرأ ون ولا يكتبون.

لا أعتقد أن الدكتور يقول بهذا مطلقا، وإن كان يقول به حين ما يكتب على الشيعة وعن أئمة الشيعة.

من الحرج عل مؤلف كبير يكتب لملايين من البشر أن يعمل لنتائجه أقيِسة هى أحط من أقيسة الأطفال، ثم يقدمها للناس على أنها حقائق علمية.

أئمة أهل البيت يرتكبون الإثم فى الخلفاء، لأن الإسماعيليين يرتكبون الإثم علانية، والإمام لا يمكن أن يكون معصوما، لأن الفاطميين كانوا ظلمة مستهترين.

وفكرة المهدى باطلة، لأن من نجح من دعاة المهدوية لم يحقق عدلا ولم يرفع ظلما؛ والشيعة يعتقدون بالحلول، لأن البابية والحلاج يعتقدون ذلك.

وهو يقولون برجعة الأئمة بطريق التناسخ لأن الشلمغانى يقول بذلك، ويقولون إن المهدى فى جبل رضوى عنده عينان نضاختان فيهما عسل وماء لأن الكيسانيين يقولون بهذا، ونظمها كثير عزة فى شعره.

فهل يريد القارئ منى أن أنقل له كتاب المهدى والمهدوية كله شاهدا على هذه الدعوى.

من الحرج على مؤلف كبير أن يعمل هذه الأقيسة ليلقى نتائجها دروسا على مئات من المثقفين الجامعيين، ثم يحررها كتبا لملايين من القرّاء، على أنها حقائق علمية من الحرج عليه أن يكتب مثل هذا ثم يعتذر بقلة المصادر وكيف يسوغ لباحث أن يلج موضوعا ص خطرا مع قلة إحاطة وعدم تتبع، والخيال والتاريخ لا ينفعان الكاتب فى جميع الأشياء.

يذكر الأستاذ لفكرة المهدى تأريخا مشوها فى الإسلام ويقول إن هذا التاريخ دليل على بطلان الفكرة؛ ولو أردنا أن نجمع تاريخ النبوات الكاذبة، والأرباب المزيفة، لوجدنا تأريخا ص عجيبا هو أشد تشويها من هذا التأريخ الذى وضعه الأستاذ لفكرة

المهدى، فهل يصح لأحد أن يستدل على كذب النبوات كلها، وإنكار الإله الحق بهذا التأريخ المشوه الذى وضعناه للكاذبين، لا أعتقد أن الدكتور يصحح ذلك الدليل وإن كان يقول بصحته حين ما يكتب عن فكرة المهدى.

وبعد فإن الدكتور ينظر إلى المسلمين عامة نظرة سوداء فيها كثير من الاحتقار وكثير من الإزدراء، لأن الشيعة فى رأيه جمعية سرية ترتب أمورها بدقة وتسيرها بإتقان، وقد تمكنت بفضل هذه الدقة أن تدس فى أحاديث المسلمين ما تشاء، وإن تلوّن تأريخ المسلمين كيف تريد، وأن تدخل فى العلوم والفنون ما تختار، ورؤساء المسلمين وقياداتهم فى غفلة عن هذا التصرف الذريع، فأحاديث المسلمين وتأريخهم وتفسيرهم وعلومهم ألعوبة بأيدى هذه الفئة الدساسة، ولعل أيدى هؤلاء امتدت على أشياء أخرى يحذر الأستاذ من الجهر بها.

والأدب... والأدب، كيف لونه الشيعة القرمطيون بطابع الدم والثورة والحيرة والاضطراب، ولا تعجب من هذه النسبة فهى عبارة واحدة عند الأستاذ لأنه يقول عن المتنبى أنه تعلم فى بعض مكاتب الشيعة، ومن هؤلاء الشيعة كانت القرامطة، ولذلك فالمتنبى شيعى

قرمطى، وكل شيعى قرمطى، كما أن كل شيعى إسماعيلى، وكل أديب باك أو متحير فهو شيعى قرمطى وإن كان فى تسنن جرير، وفى نصب مروان بن أبى حفصة؛ وكل شعر دموى فشاعره شيعى قرمطى وإن كان من الجاهليين أو من المخضرمين.

أنا لا أنكر ما للأدب الشيعى من الروعة، وما فيه من الجمال، لأن هذه الظاهرة فى الأدب الشيعى واضحة يجدها كل قارئ يتذوق الأدب.

أدب الشيعة صدىً لعواطف ملتهبة، أخمد الزمان لهبها أن يظهر، وأطلق الأدب دخانها أن يثور، ففاح كما يفوح الند حين يحترق، وماء الورد حين يتصاعد، وفى الأدب الشيعى رقة الدمع، ورهبة الدم، والحزن للقلوب والكئيبة كالنار حين تنفى خبث الحديد، وتنقى الذهب الإبريز ويستطيع الأديب الشيعى أن يبكى فى ثورته، ,وأن يثور فى بكائه، وأن يسيطر على الموقف فى كلتا الحالتين، لأنه يقلى من شظايا فؤاده.

لم تستطع الشيعة أن تعمل، ولكنها استطاعت أن تقول، والكبت حين يشتد يتصل بأعماق النفس ليمزج العقيدة بالعاطفة، ثم يتصعد مع الزفرات أدبا يلهب ويلتهب ويبكى ويستبكى، وفى أنّة الحزين معان لا تستطيع أن تعبر عنها أنّة المعافى، وإن تشابهتا فى التوقيع.

هذا ما يجعل أدب الشيعة فى القمة من أدب المسلمين، وفى الذروة من أدب العروبة، وهذا بعض ما استفادته الشيعة من يوم الحسين، وأيام العترة فى التأريخ، وأيامهم فى التأريخ دموع ودماء.

والشيعة حين تكبر يوم الحسين فإنها تريد أن تعترف بالفضل لهذا المنقذ، لأنه استطاع أن يمزج العقيدة الإسلامية بلحومها ودمائها، وأن تؤدى للرسول الأعظم أجر الرسالة بالولاء الصحيح، والولاء الصحيح مشاركة فى الأحزان والأفراح، وإذا لم يستطع التأريخ أن يحفظ للعترة يوم فرح فقد حفظ لها أيام الحزن. [۱] .

أنا أعترف للأدب الشيعى بجميع ذلك، ولكنى أنكر أن يكون كل أديب باك شيعياً، وكل شاعر ثائر قرمطيا، لأن أكثر الشعر بكاء، وأكثر الشعراء ثائرون، وهل بإمكان الأديب أن يبكى وأن لا يثور، وهو يصور الحياة، وأكثر ما فى الحياة آلام.

ولست أعتقد أن الدكتور لم يثر ولم يبك فى يوم من الأيام، وإذن فالدكتور أحمد أمين شيعى قرمطى لأنه بكى وثار فى أدبه، ولعله أبكى واستثار.

ويعجبنى كثيرا هذا التحقيق التأريخى لنقل كلمة المهدى الذى يذكره الدكتور ص(۱۰)

وأن المختار ابن أبى عبيد الثقفى نقل كلمة المهدى إلى معنى آخر لزمها إلى اليوم، وهو أن المهدى لم يمت، وإنما هو وأصحابه يقيمون فى جبل رضوى وهو فى الحجاز على سبع مراحل من المدينة، وإنه وأصحابه أحياء يرزقون».

عذرتكم أيها الإخوان، فإن للحب مجالى يجهلها غير العاشقين الشيعة متيمون بنبيهم، متيمون بأئمتهم، ويرون فى هذا الحب أشد أنواع الإتباع.

ينشأ الطفل الإثنا عشرى، وعقيدة التوحيد والرسالة ملؤ إدراكه ومداركه، وملؤ سمعه وقلبه، واسم الحسين مع هذه العقيدة فى سمو معناها وسمو أهدافها، يمدها من مصرعه بالدم فيحيل العقيدة عاطفة، وتمد هى مصرعه بالعظمة فينعكس عليه جلالها، وترتسم عليه أضواؤها.

لست أريد أن أرثى الحسين، ولكنى أريد أن أصور عقيدة الشيعة فى الحسين وفى الأئمة من آله، تقول الشيعة: أن النبى بكى فى يوم حمزة، وقال: ولكن حمزة لا بواكى عليه، وبكى فى يوم جعفر وزيد بن حارثة، وبكى لأحياء آخرين، والحسين أقرب هؤلاء إلى قلبه وأشدهم صلة بروحه، وتروى الشيعة عن أئمتها أحاديث فى فضل البكاء عليه.

وبعد فلماذا يعد الحزن لأهل البيت بدعة، بعد أن كان محل خلاف بين المسلمين، وبعد أن أدى اجتهاد علماء الشيعة إلى جوازه ورجحانه.

لم يستطع الناقدون أن يقولوا: حب أهل البيت بدعة، فقالوا: البكاء لمصابهم بدعة، ولم يظهروا: أن يوم الحسين عيد للأمة، ولكنهم

جعلوا عيد الهجرة فى شهر محرم.

نغمات قديمة وقعها ابن كثير فى تاريخه وتبعه آخرون.

ومن أحدث هذه النغمات ما رأيته فى مجلة لواء الإسلام فى عدد المحرم من سنة ۱۳۷۱.

تقول المجلة عن حديث التوسعة على العيال فى يوم عاشوراء هو من الأحاديث المكذوبة، لأن رواية أهل الكوفة وأهل الكوفة طائفتان: رافضة يظهرون موالاة أهل البيت، وهم فى الباطل إما ملاحدة زنادقة؛ وإما جهال وأصحاب هوى، وطائفة ناصبة تبغض عليا وأصحابه، ولما قتل الحسين بن على يوم عاشوراء صارت طائفة الروافض تتخذ يوم عاشوراء يوم مأتم وحزن ونياحة، ولما رأت طائفة النواصب ذلك قابلت الفاسد بالفاسد والكذب بالكذب، فوضعوا الآثار فى شعائر الفرح والسرور والتوسعة.

أرأيت كيف يعدون الحزن لأهل البيت من الكذب ومن العمل الفاسد، أرأيتهم كيف يحكمون على الشيعة بالإلحاد والزندقة وهل تعلم دليلهم على هذا الحكم.

دليلهم عليه أن الشيعة تحب أهل البيت و إلا فأى دليل يقوم على أن من يظهر الولاء لهل البيت فهو ملحد فى الباطن أو مبتدع، وأى تأريخ يقول: أن النبى هاجر فى شهر المحرم.

لم يهاجر النبى فى شهر المحرم، ولكن الحسين قتل فى هذا الشهر، ولم يبتدع الشيعة شيئا، ولكنهم يحبون أهل البيت.

تأمل بربك تأمل، هل تصح هذه العبارة من المختار إلا حين يعتقد الناس الآخرون أن إمامه قد مات، والمؤرخون مجمعون على أن المختار قتل فى السنة السابعة والستين للهجرة وأن محمدا ابن الحنفية مات بعده بخمس سنين على أقل التقادير. [۲] .

وهذا الجدول التأريخى الطويل الذى حشد فيه الدكتور كثيرا من وقائع الدهر، وجعله فهرسا لنتائج فكرة المهدى أو للأحداث المتصلة بها كما يقول، كأن الدكتور قد لاحظ فيه أن كل حركة قام بها شيعى أو كانت ضد حركة شيعية، وكل ثورة قام دعاتها باسم العدل، فجميع هذه الحركات والثورات من الأحداث المتصلة بفكرة المهدى و إلا فأى علاقة لخلافة على، ومقتل الحسين، وثورة المختار وبعض ثورات العلويين، وسيف الدولة الحمدانى، و.و.و.أى علاقة لهذه الأشياء بفكرة المهدى، لو لم تكن هذه الحركات شيعية، أو لم يكن تأسيسها باسم العدل، ورفع الظلم؛ ولهذا كان الواجب أن يضيف إلى هذه القائمة كل ثورة نهض زعماؤها باسم العدل، وإن لم تكن فى الشرق أو لم تكن عند المسلمين.

لا يشك أحدٌ أن مصدر ابتلاء الشيعة بهذه التهم هو اختفاؤها بعقائدها أيام التقية والخوف.

وماذا يصنع الشيعة إذا ألجأهم البرهان العلمى إلى الاعتقاد، واضطرتهم الحكومات القائمة إلى الاستتار، وماذا يصنع الدكتور نفسه إذا ابتلى بمثل ذلك، فهل يترك عقيدته التى حتما عليه البرهان، أو يخاطر بدمه الذى عصمه القرآن على غير جدوى فى هذه المخاطرة.

لست أشك فى أن الدكتور يختار ما اختارته الشيعة إذا ابتلى بمثل بلائها، يسر العقيدة ويساير الجمهور، وهذه نتيجة لا بد منها إذا فرضها الزمن.

كان من المحتم على الشيعة أن يختفوا؛ وكان هذا الاختفاء مصدر ابتلائهم بهذه التهم الكاذبة التى لا تتصل بهم ولا تشبه قواعد مذهبهم.

من الضرورى لكل شخص يقوم بحركة انقلابية ضد حكومة رسمية قائمة أن تكون دعوته سرية فى بدايتها وأن يستخدم بعض الفكر الصحيحة لتحقيق غايته، كفكرة المهدى وما يشبهها، وأن يُموّه على المغفلين ممن اعتنق هذه الفكرة ليساعدوه على ما يريد، لا بد له من ذلك، وفى هذا ما يوهم المؤرخين والحكومات القائمة أن الحركة شيعية، وفى الحق أن

الشيعة منها براء، والدليل على ذلك تبرّء الشيعة وأئمة الشيعة من هذه الحركات، ومن زعمائها، وأحبار الأئمة فى التنديد بهؤلاء الثائرين؛ محفوظة فى كتب الشيعة المعتمدة ولكن المؤرخين مصرون على أن هذه الحركات شيعية وأن زعماءَها شيعيون.

تتبرأ الشيعة وأئمة الشيعة من الحلول والتجسيم؛ وتكفّر من يقول بهما، ويأبى المؤرخون إلا أن يكون الحلاج والشلمغانى شيعيين، وأن

تكون ثورة القرامطة ثورة شيعية، وارتكاباتهم أعمالا شيعية مهدوية.

وتحكم الشيعة وأئمة الشيعة بنجاسة من يدعى النبوة بعد نبى الإسلام وتبطل كل دين يظهر بعد دين الإسلام، ويقول المؤرخون ومنهم الدكتور أحمد أمين أن نهضة البابليين والقاديانية نهضتان شيعيتان مهدويتان.

وتحكم الشيعة بكفر القائلين بوحدة الوجود، وتنزه الله عن عوارض المكان والإمكان؛ وتقول أن شريعة الإسلام كافية لتهذيب الظاهر والبطن، ويقول العلامة ابن خلدون والدكتور أحمد أمين إن المتصرفة أخذت مذاهبها من عقائد الشيعة، أرأيت أعجب من هذا.

نظير ما ينقلون فى نوادر الأذكياء أن رجلا بلغه موت أحد أصدقائه فى السفر فحزن عليه حزنا شديدا وجزع لفقدهن واتفق أن صديقه عاد من سفره سالما، فلقيه يوما فى الطريق، فسلم عليه وهو يبكى، ويقول: عظم الله أجورنا فيك أيها الأخ العزيز فلقد شق علينا موتك، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

فضحك صديقه وقال: وها أنا بحمد الله رجعت سالما فقال: إن الذى أخبرنى بموتك أصدق منك أيها الأخ.

تبرّأ الشيعة من هذه الآراء ومن معتقديها، ويقول المؤرخون أنها آراء شيعية وإن المعتقدين بها شيعيون، لأن الذى يخبرنا بذلك هو التأريخ، وكتب الملل والنحل وهما شاهدان عادلان.

أنظروا كتب الشيعة مشحونة بالرد على هذه الأهواء لعلكم تصدقون أن هذه الأهواء غير شيعية وأنها تباين قواعد المذهب الجعفرى، ولعل من كتب فى رد هذه الأهواء من الشيعة أكثر من زعم غيرهم، أنظروا كتب الشيعة لعلكم تصدقون معى أن التأريخ لم يكتب للتاريخ وإنما كتب للعقيدة، وإذا قلت المصادر عن المذهب الإسماعيلى فإن مصادر الإثنى عشرية غير قليلة، إقرأوا كتب الشيعة ثم انقدوا عن كنتم ناقدين، وستعلمون من دون ريب أن الشيعة لا تناصر فلسفة ولا تصوفا وإنما تناصر الحق وتساند الدليل.

ستعلمون أن الشيعة لا- تقول أن فى القرآن أدبا رمزيا يؤول بمشتهيات النفوس ولكنها كما يقول القرآن: منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب وأخَر متشابهات، وتقول إن المتشابهات يجب ردها على السنة النبوية الصحيحة، وإلى ما يقول العترة الذين جعلهم النبى قرناء الكتاب. پاورقى

[۱] رعى الله إخواننا من المسلمين، وتجاوز عنهم فيما يصنعون أنهم يأخذون على المحزون أن لا يئن، ويحكمون على المصدور أن لا يتزفّر، يؤاخذون الشيعة حين تبكى لآلامها، وحين تحزن لأوليائها، ويقولونك إن مواساة النبى فى أحزانه بدعة، وإن التوجع لآلام أهل البيت ضلال.

[۲] أنظر تاريخ الطبرى فى حوادث سنة۶۷، ووفيات الأعيان فى ترجمة محمد ابن الحنفية.

خاتمة المطاف

خاتمة المطاف

العدل الخلقى والاجتماعى نتيجة طبيعية للدين الإسلامى الحنيف إذا عمل المسلمون بقواعد هذا الدين، وطبقوا تعاليمه على ما يعملون وما يعتقدون، وكان من المحتم أن يصل المسلمون إلى هذه الغاية منذ يومهم الأول لو أحسنوا الإتباع واجتهدوا فى التطبيق، ولكن تزاحم الغايات يبعد عن المراد.

لم يصل المسلمون إلى الغاية التى نهج إليها الدين حين تركوا اللباب من هذه التعاليم واكتفوا بالظاهر، ونظرة الدين إلى الباطن سابقة على نظرته إلى الظاهر، ولذلك فهو يبدأ بالعقيدة قبل العمل.

(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى) [۱] و(إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكتم أن تحكموا بالعدل) [۲] (وأمرت لأعدل بينكم) [۳] وما أكثر الآيات الدالة على أن غاية الدين الأولى هى تحقيق العدل بجميع معانيه.

وإذا كان الإسلام هو الدين الذى شرعه الله ليكون دين البشر العام، فإن غايته لا بد ان تكون هى تحقيق العدل العام الذى يملأ

الأرض.

هذا ما أراد الله للبشر حين شرع لهم الدين؛ وهذا ما تفاءلت به الأديان حين أخبرت بالعدل المنظر.

والبشر الذى يسير إلى الكمال فى العلم المادى بسرعة البرق، وبقوة الذرة لا يمتنع عليه أن يسير إلى الكمال فى العدل الخلقى بسرعة القدم.

سيصل البشر إلى هذه الغاية من دون ريب حين يدركون سموّ العدل، وحين يفهمهم المصلح أن هذا العدل لا يتحقق إلا بدين الإسلام.

هذه الفكرة هى التى تقول بها الشيعة فى المهدى، وتقول: إن المهدى الذى يفهم الناس بهذه الضرورة هو آخر رجال العترة الذين خلفهم النبى فى الأمة، وبقية ذوى القربى الذين أوجب الله مودتهم فى الكتاب، وهذه خلاصة رأى الشيعة فى المهدى.

والشيعة ترحب بكل نقد نزيه يتعلق بمذهبها، على أن يكون التفاهم للحق وحده، وإذا كان المقصد هو الحق صغرت الوسيلة لعظم الغاية.

وعلى الناقد أن يتأكد من الرأى قبل أن يتسرع فى النقد فيدل من نفسه على ما لا يحمد؛ فإن فى السكوت إذا لم تتضح للناطق مواضع النطق، ورحم الله مؤيد الدين الطغرائى الذى يقول: غالى بنفسى عرفانى بقيمتها

فصنتها عن رخيص القدر مبتذل وأنا حين أودع سعادة الدكتور أحمد أمين، فإنى أكبر منه جهاده المتواصل وتآليفه التى خدم بها الأدب، وأرجو أن تكون صلتنا للحق وحده، كما يريد هو وكما أريد أنا، وله خالص التحيات من صديقه الجديد. پاورقى

[۱] سورة النحل آية ۹۰.

[۲] النساء آية ۵۸.

[۳] سورة الشورى آية۱۵.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافىّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت

–عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ أُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ أُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹